مقتل منظر الحملة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا كزافيي كوبولاني

القصــة الكاملة

إعداد: نقيب سيدي محمد ولد حديد

الإصدار الأول

توطئة تاريخية

بدأ الوجود الأوروبي على السواحل الموريتانية بعد الوصول الأول للبرتغاليين سنة 1443م، حيث أسسوا عدة مراسي للتجارة مع سكان الدواخل، مثل **مرسى "آركين"، مرسى"أكادير دوم"، مرسى"بور- تانديك و ميناء تندغا**.
وكان ذلك في عهد الكشوف الجغرافية التي أفضت إلى تمركز البرتغاليين على السواحل الموريتانية، لا سيما في موقع **"آركين"- دومة**، المنسوب **للملك دومةْ** ملك قبائل **انْيارزيـگ[1]**.
كان **آركين** محل صراع بين القوى الأوروبية على التوالي: البرتغال ما بين 1445-1633، هولندا إلى سنة 1678م، فرنسا سنة 1678 حيث تم تحطيمه وتركه، الألمان والهولنديون 1095م و1711م، فرنسا للمرة الثانية 1720-1728، بعد صراع مع الهولنديين وكالة عن الإنجليز. ثم اندلعت الحرب بين فرنسا والإنجليز 1728-1740. وبعدها تم الأمر لفرنسا فنقلت التجارة إلى مراسي النهر سنة 1763 لتشجيع مبادلة العلك مع السكان المحليين، ثم لم يلبث الفرنسيون على وجه خاص، أن هيمنوا على تجارة النهر، ومحطاته لبيع الصمغ العربي، بعد أن هدموا المحطات الأطلسية خشية المنافسة الأوروبية.
لقد بدأ الروح الاستعماري الفرنسي مع البعثات الكشفية التي ظهرت إثر موجة من الحماس في فرنسا سنة 1879م، تدعو إلى اختراق الصحراء. كان التطلع منصبا على احتلال نهر النيجر، رغم رفض تجار سينلوي المناهضين للحرب، لكن قادة الجيش الفرنسي المتتالين ثبّتوا أقدامهم في أعلى النهر، بعد أن حطموا قوات **محمد الأمين** و**الساموري توری** وحلفاء **الحاج عمر**، واخضعوا الطوارق تدريجيا بين 1896-1897، ثم تمت السيطرة نهائيا على **سمي بلاد السودان النيجيري** سنة 1898 التي تحوي جزءا من شرق **موريتانيا** الحالية المتاخم **لأزواد**.
وفي الجنوب الغربي انتقل الفرنسيون من التدخل في الصراعات الأميرية إلى فرض الهيمنة ابتداء من الفترة 1901-1903، وبدءوا التغلغل نحو وسط البلاد في ظل منطق**"السلم الاستعماري"**. وهكذا بدأت مرحلة جديدة، أرادها **كوبولاني[2]**

---

[1]- **نقلا عن: د. حماه الله ولد السالم: المجتمع الأهلي في مدن القوافل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، صص250-252**

[2]- **ولد كزافييه كوبولاني Xavier Coppolani في فاتح فبراير 1866 بكورسيكا (جزيرة في البحر الأبيض المتوسط تابعة لفرنسا)، وما لبث أن انتقل إلى الجزائر التي أقام بها، وكان له اهتمام خاص بالعالم الإسلامي أثناء دراسته. وقد عين في أبريل 1889 موظفا في بلدية واد شرق بالجزائر. وفي ديسمبر 1895 صار ملحقا لدى الحكومة العامة بالجزائر (الجهاز السياسي والعسكري الفرنسي الحاكم بالجزائر في فترة الاستعمار). وفي بداية يوليو 1896 عين إداريا مساعدا.**

توغلا سلميا، وحولتها حراب المجاهدين إلى غزو مسلح وحملة عسكرية شرسة، استمرت حتى سنة 1934م.

وقد وظف **كوبولاني** كل ما لديه من مرونة إدارية وحنكة من أجل تحقيق حلمه الطموح الذي لم يعمر طويلا [3]، حيث كان المكر وزرع بذور الفتنة والشقاق بين أبناء المجموعة الواحدة من أهم الأسلحة الخفية لمنظر الحملة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا، وهو ما "نوه" به **المقدم مونتاني كابدبوس** **Lieutenant-colonel Montané-Capdebosq** في تقريره عن ظروف ونتائج مهمة تگانت-آدرار سنة 1905، حيث وصف طريقة عمل**"المفوض الأول للحكومة العامة في موريتانيا"** قائلا:**"في كل مرة يكون هناك زعيم حربي على رأس مجموعة مهمة يواجهنا بالمقاومة، يخترق كوبولاني هذه المجموعة، باحثا عن الشقوق التي تمكنه معرفته العميقة بشؤون المسلمين من كشفها بسرعة، ويشرع فورا بأسلوبه الخاص في العمل على تفكيك المجموعة..."**[4]. كما أشاد **جيلييه** بهذه "الخصال" قائلا:**"لقد عرف كيف يستخدم - وبصورة لم يستطع أي شخص آخر أن يفعل مثله- التنافس واختلاف المصالح للأفراد والجماعات. ونجح بهذا الأسلوب في أن يبسط نفوذنا على جزء من موريتانيا في أقصر مدة وبأقل تكلفة، وبالحد الأدنى من إراقة الدماء"**[5].

شرع **كوبولاني** في تطبيق فصول خطته القاضية باحتلال الأقاليم الموريتانية جيبا فجيبا، وهو ما يعني إخضاع **الترارزه** أولا، ثم **البراكنه** و**تگانت** وأخيرا **آدرار**، وذلك من خلال إنشاء سلسلة خطية من المراكز العسكرية بدءا بخروفه قرب المذرذره، فسهوت الماء، وصولا إلى الركبه و نواكشوط.

ونظرا لاهتمامه بالدراسات الإسلامية نشر بالتعاون مع ديبون (Dupont) كتابهما الشهير: "الطرق الصوفية الإسلامية" وكان له وقع خاص في صفوف النخبة الاستشراقية. تم تكليف كوبولاني في سنتي 1898-1899 بمهمة في السودان الغربي (مالي)، وقد تعرف في مهمته الاستطلاعية على قادة بعض القبائل الموريتانية الشرقية. كما وصل إلى ولاتة وتيشيت وآدرار سنة 1899 في مهمة بحث وتحر مشابهة. وقد استطاع كوبولاني بفضل احتكاكه المباشر مع الموريتانيين خلال هاتين السنتين وبفضل معرفته السابقة بالمجتمعات الإسلامية أن يطور معرفته بالمجتمع الموريتاني وأن يتفهم عقليته أكثر. وقد قدم كوبولاني تقريرا مفصلا ودقيقا عن المجتمع الموريتاني وعن الطرق الملائمة لدخول فرنسا إلى البلاد الشنقيطية. ورفع إلى وزير المستعمرات الفرنسية الذي أعجب يومئذ بتقرير الشاب الكورسيكي؛ وقد قدمه في ديسمبر 1899 باسم "مشروع موريتانيا الغربية". ويوضح تقرير كوبولاني حدود هذا المسمى الجديد "موريتانيا": إذ يحدها غربا المحيط الأطلسي وشمالا وادي درعة وتندوف وشرقا حوض تاودني ومنطقة المبروك وتنبكتو وجنوبا منطقة انيورو وخاي ونهر السنغال.

بعد أخذ ورد بين وزارة المستعمرات وبين وزارة الخارجية الفرنسية، وبعد استشارة الإدارة الفرنسية بدكار (التي كانت عاصمة إفريقيا الغربية خلال الاستعمار الفرنسي)، تم تكليف كوبولاني بدخول موريتانيا وإخضاعها للاستعمار الفرنسي، فحل بمدينة سان لويس السنغالية (تعرف محليا باسم اندر) سنة 1902 وبدأ يأخذ الأهبة لتنفيذ المشروع انطلاقا من منطقة الترارزه المتاخمة للسنغال وذات الصلات التجارية القديمة مع الفرنسيين.

[3] - محمد سعيد ولد همدي - العدد 26 من مجلة التعليم 1995 ص 145

[4] - رائد جيلييه: التوغل في موريتانيا- اكتشافات.. استكشافات... غزو...- ترجمة محمد ولد حمينا، دار الضياء للنشر والتوزيع- الكويت، الطبعة الأولى 2007 - ص 158

[5]- نفسه- ص 156

انطلق **كوبولاني** إلى البراكنه سنة 1903، ليصل إلى ألاگ في 3 دجمبر 1903 ويرفع عليه علم فرنسا، وقد أسند حمايته إلى النقيب **شوفوChauvet** مع وحدة جنود "سنغاليين". ثم تقدم إلى موضع مال، حيث شيد فيه موقعا بين ألاگ و"موييت" لسد الطريق على الغارات التي يمكن أن تتعرض لها القرى المحاذية للنهر، وفي نفس الوقت تكون قاعدة أمامية للتمويل والإسناد أثناء عمل البعثة في تگانت[6].

وكانت تشكلة بعثة تگانت- آدرار على النحو التالي:

- فصيلة من الرماة

- فرقة من المدفعية

- خمس و حدات من الرماة "السنغاليين"

- 30 من الأوربيين و ما يناهز 800 من الإفريقيين، لديهم 200 حصان و 300 جمل لحمل المؤن و80 من الأبقار للزاد.

- وحدة من المجندين المحليين

- وحدة من المجندين "الجزائريين"[7]

وفي 21 فبراير 1905 بدأت **بعثة كوبولاني** في التحرك نحو تگانت، و في 28 من نفس الشهر توقفت في قصر البركه. ثم واصلت الزحف إلى موضع الحسينيه، حيث أقام **كوبولاني** مركزا عسكريا في 15 مارس، قبل أن يصل إلى تجگجه في 21 من نفس الشهر و يشيد بها مركزا في 12 ابريل[8].

كانت تلك هي التجليات العسكرية لمشروع **"التوغل السلمي"** أو **"السلم الإستعماري"** الذي تبناه **كوبولاني** منذ البداية، واستطاع إقناع رؤسائه بضرورة الإسراع في تنفيذه...

وبينما كان **"المنظر الكبير"** يتجرع سعيدا، نخب انتصاراته التي بدت له أسهل مما توقع، خاصة بعد معركة **"بوكادوم"** واستشهاد المجاهد الكبير **بكار ولد**

---

[6] - الطالب اخيار ولد الشيخ ماميا - الشيخ ماء العينين، علماء و أمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي - الجزء الثاني - الطبعة الأولى 2007- ص 179

[7] - نفسه - ص 179

[8] - نفسه - ص 186

اسويد احمد... كانت ثلة من المجاهدين الصادقين، بقيادة شيخ مؤمن، تجاوز الستين، قد تشكلت هناك... في جبل المرابطين، وقررت أن تضع حدا لطموحات هذا الكورسيكي القادم من الضفة الأخرى للنهر...

لنقرأ فصول هذه القصة البطولية المثيرة...

وإليكم البداية...

ظهور الدعوة إلى الجهاد...

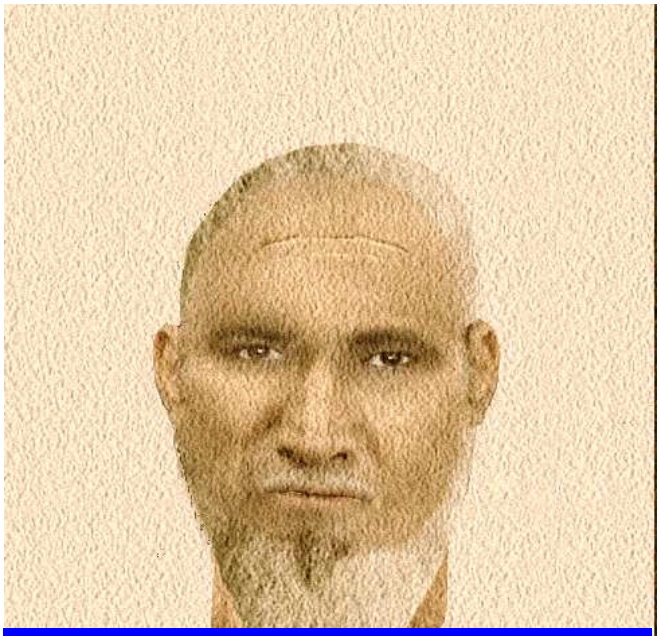

صورة متخيلة للشهيد سيدي ولد مولاي الزين
تم تركيب هذه الصور من خلال تخيل ملامح المجاهد الكبير استعانة بالتشابه الكبير بينه وبين بعض من احفاده ومحيطه الاجتماعي القريب

ذات ليلة من ليالي شهر مايو من عام 1905، كان **المجاهد سيدي ولد مولاي الزين** يمضي ليلة عادية، على مشارف **واد امحيرث** في قلب آدرار... افترش الأرض والتحف السماء وغط في نوم عميق... كان صافي الذهن، مرتاح الضمير، بعد أن أمن الدفء والمأوى لأبنائه وأحفاده وأبناء إخوته وأخواته...

تجلت للرجل **رؤيا عظيمة**، هفا لها قلبه وتاقت لها نفسه وملكت عليه جوارحه[9]... حاول جاهدا تجاهل هذا الإيحاء الذي لم يتبينه على حقيقته... ربما هي تفاعلات النفس وهواجسها التي تتجلى أحلاما وكوابيس في ليل صحراوي دامس، تغشاه نفحات برد قارس[10]، ويشق صمته من حين لآخر عواء الذئاب وفحيح الأفاعي... كانت رؤيا مريرة ... **تكرر الحلم مرات ومرات**...!!

---

[9] ـ ينقل إلينا الباحث الطالب اخيار ولد الشيخ ماميا في الصفحة 216 من كتابه " الشيخ ماء العينين، علماء و أمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي" (الجزء الثاني) رواية استقاها من بعض المصادر الشفهية، مفادها أن سيدي ولد مولاي الزين" رأى في النوم أنه قتل ثعبانا أسود الرأس، فأوله بقتل كوبولاني و كان للشريف شيخ هو الشيخ محمد محمود ولد الشيخ الكبير المعروف ب"الخلف"، توجه إليه وقص عليه الرؤيا وقال له ما معناه إنه سيقتل كوبولاني، فقال له الشيخ محمد محمود: سأعينك بهذا السيف، وأعطاه سيفا كان عنده، فقام من عنده وهو مصمم على قتل كوبولاني".
ويتحدث الراوية محمد محمود ولد هنون، الذي نقل تفاصيل هذه الرؤيا عن بعض المجاهدين الذين شاركوا في العملية، حيث يقول:"إن سيدي ولد مولاي الزين رأى في إحدى الليالي الرسول صلى الله عليه وسلم يأمره بقتل كوبولاني، وقد تجاهل سيدي هذه الرؤيا في البداية وحاول تناسيها، لكن الرؤيا كانت تعاوده في كل مرة".
ويقول الرائد لويس فريرجانه في كتابه 1911- COMMANDANT Louis FRERE JEAN MAURITANIE 1903- MEMOIRES DE RANDONNES ET DE GUERRES AU PAYS DES BEIDANESالصفحة 305 إن المجاهد الشهيد أحمد ولد اعميره ولد اباه الذي أعدمه فريرجانه في محاكمة صورية قال إن سيدي ولد مولاي الزين كان قد أخبر المجاهدين أن الله أمره في المنام أن يقتل كوبولاني، وأنه هو، أي سيدي سوف يموت في نفس اليوم. ومن المرجح أن مرد هذه الرواية التي لم نجد ما يشير إليها من المصادر الشفهية المتوفرة هو إلى سوء الترجمة أو عدم استيعاب الكاتب (فريرجانه) لما قاله أحمد و لد اعميره ولد اباه.

[10] ـ على لسان الباحث محمد سعيد و لد همدي يخبرنا محمد و لد الصفره، وهو أحد المجاهدين الذين شاركوا في العملية أن تاريخ تنفيذ العملية قد تزامن مع حلول فصل الشتاء ـ عدد26 من مجلة التعليم 1995 ـ ص 145

أدرك سيدي أن هناك ما ينبغي فعله إزاء هذا الكابوس الذي يعاوده في كل مرة... حاول تفسير هذه **الرؤيا**، لجأ إلى الواقع وحال الأمة... **فكر و قدر.**

كانت **الطريقة الغُظْفِية**[11] المرجعية الفكرية والعقدية للمجاهد **سيدي ولد مولاي**، وهو ما دفع الفرنسيين إلى الانتباه إلى دور هذه **الطريقة الصوفية** ومساهمتها في مقتل **كوبولاني**، يقول **الرائد جيلييه:"الظروف التي اكتنفت مقتل كوبولاني في تجگجه أخذت طابعا لا يمكن معه اعتبارها إلا عملا تعصبيا خالصا، ولكن إذا كنا ظنناه حدثا معزولا بفعل الحماس الديني لفرد من الأفراد، فإنه يجب علينا اليوم أن نعطيه طابعا أكثر شمولية، ذلك أن التحقيقات التي أجريت حول الموضوع، أوحت إلينا دون شك، أن قاتل رئيس بعثة تگانت (هو) الشريف سيدي مولاي الزين كان أشد الناس حماسا بين أتباع طقوس الطريقة الغظفية،..(مؤسسها) الشيخ سيدي محمد الغظفي،[يقصد خليفتها آنذاك الشيخ محمد محمود] ويتصف أتباعه بمبادئ وأعمال لا نظير لها في الإخلاص"**[12].

قرر الفرنسيون مع مطلع القرن العشرين الربط بين مستعمرتي الجزائر والسنغال[13]، وهو ما يعني عمليا الشروع في احتلال الأراضي الموريتانية. ونتيجة لذلك عاشت البلاد على وقع الاجتياح الفرنسي... كان لسان حال الأمة حينها يردد مشدوها، مع **الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا الكبير**[14] :

---

[11]- هي طريقة صوفية شاذلية، أول مشائخها الشيخ محمد الأغظف إبن حمى الله بن السالم الداودي الجعفري، تاريخ الميلاد 1218هجرية، و عنه أخذها الشيخ المختار بن الطالب اعمر البُصَادي ت ق 13 هجري، وعنه تلقاها ابن عمه الشيخ سيداحمد ابن عمار البُصَادي ت1297 هجرية-1880 م ولقبه الشيخ الغُظْفْ، ونُسِبت له الطريقة فعُرفت ب "الغُظْفِيَّة"، وتسلسلت قيادتها في بنيه وأحفاده: الشيخ محمد محمود الملقب الخلف ت 1323 هجرية، الشيخ الغزواني بن الشيخ محمد محمود.

لقد كانت الطريقة الغظفية مؤسسة أهلية محكمة التنظيم، جمعت بين التربية الزهدية الشعبية والنظام الإنتاجي والتجاري المحكم، إلى جانب الدور السياسي والاجتماعي الهادئ الرصين. وكانت تحوي طبقات من المنخرطين فيها: فئة المنشغلين بالتعليم، فئة أهل التجارة، فئة أهل الخدمة العامة... ويرى الخليل النحوي أن لها ميزات، منها أنها طريقة محكمة التنظيم، موريتانية المنشأ وكان لها دور في القرن العشرين الميلادي في مقاومة الاستعمار الفرنسي. وقد حاولت السيسيولوجيا الاستعمارية الفرنسية تشويه الطريقة الغظفية، لدورها الفعال في تنظيم عملية مقتل الاستعماري كوبولاني (x) Coppolani سنة 1905 ميلادية. وقد كان قادة الطريقة الغظفية هم أول من قاد الهجرة عن دار الحرب، رفضا للبقاء في ظل المستعمر. وقد مثل خروج ركب الطريقة الغظفية أعظم تحد للسلطة الاستعمارية، وأكبر باعث على الهجرة والجهاد. فقد خرج ركب يضم ستمائة رجل ترافقهم عائلاتهم. وقد انطلق الركب من بلاد الحوض في شرق البلاد سنة 1908، مارا عبر الصحراء صوب ليبيا ثم الأردن وتركيا. وتذكر المصادر الليبية[الحضيري:المسك والريحان]:أن"الشيخ الشريف محمد الأمين الشنقيطي قدم إلى سبها من موريتانيا سنة 1911، بصحبة عدد كبير من الأتباع أي التلاميذ، وعند مقدمه إلى سبها استقبله سكان بلدة الجديد بالابتهاج والترحاب، فآووه وبجلوه وأكرموه، وأقام في ضيافتهم مدة من الزمن. كان رحمه الله شيخا وقورا وعالما جليلا، مربيا صوفيا روحيا صاحب أوراد وتسابيح. له مؤلفات أغلبها في التصوف والوعظ والإرشاد على شكل نظم... وفي السنة التالية من مقدمه، أي سنة 1912م التحق بالجهاد مع الليبيين وشارك معهم في معارك سواني بن يادم، وقد اشترك برأيه في خطة حركة تسيير الجهاد، وكان يرى أن لا بد من تأسيس بيت مال لصالح الجهاد إذا ما أريد الصمود والاستمرارية ضد العدو، ولما لم يُعمل برأيه سافر إلى تركيا هو وبعض من أتباعه... واستقروا بها بمنطقة [أوضنه قوزان]... توفي رحمه الله سنة 1949 بتركيا ودفن بنفس البلاد- نقلا عن د. حماه الله ولد السالم.

[12]- جيلييه: مرجع سابق- ص168

[13] - في 18 أكتوبر سنة 1904 صدر مرسوم يؤسس إقليم موريتانيا المدني، وخول سلطة المفوض العام للحكومة الفرنسية في موريتانيا - نفسه - ص 146

[14] - كان الشيخ سيديه الكبير، والد الشيخ سيدي محمد قد جمع أمراء الترارزه والبراكنه وآدرار وممثل عن إمارة إيدوعيش في مؤتمر تندوجه سنة 1858 من أجل التصدي للاستعمار الفرنسي.

حماة الدين إن الدين صارا
أسيرا للصوص من النصارى
فإن بادرتموه تداركـــــوه
و إلا يسبق السيف البـــدارا

كان **كوبولاني**، هذا الإداري المتمرس على دراية كبيرة في التعامل مع المجموعات المحلية، وكان يدرك أن عليه باستمرار **"أن يقدم نفسه على أنه مدافع عن المظلومين"**[15]، ورادع للظالمين من خلال ابتكار أسلوب فريد، يمزج بين الترغيب والترهيب[16]...!!

وبسبب قدرته غير العادية على لعب **"هذا الدور"**، فقد اختارته الإدارة الاستعمارية ليكون على رأس **البعثة الفرنسية المنتدبة إلى تگانت وآدرار**، وليشكل بذلك رأس الحربة في المشروع الاستعماري الفرنسي الزاحف على الأراضي الموريتانية.

لم يجد **سيدي ولد مولاي الزين** بدا من تلبية ذلك النداء الخفي، القادم من أعماق النفس، **نداء الجهاد والشهادة**، فقد تأكدت له الرؤيا، وتحددت المهمة، وأصبح الطريق سالكا إلى قلعة تجگجه[17] ... لم يعد لديه أدنى شك حول طبيعة الهدف، إنه **رأس كوبولاني**... لقد شعر أنه خلق لهذه المهمة ومن أجلها، كانت كل ذرة من كيانه تصرخ فيه أن حيَّ على الجهاد، و تستحثه على المضي قدما إلى **موعد مقدر...!!**

---

[15]- نفسه- ص 132

[16]- انظر رسالة كوبولاني إلى أهل تگانت، الملحق رقم 3

[17] - هي قلعة بدأ كوبولاني في تشييدها في 12 ابريل، و شاءت الأقدار أن يلقى فيها حتفه بعد شهر واحد من هذا التاريخ، و بالتحديد في يوم 12 مايو.

تعيين الأفراد وجمع العتاد

الراوية محمد محمود ولد هنون

من **واد امحيرث**[18]، بدأ **سيدي ولد مولاي الزين** في إعداد وجمع عناصر خطته الجريئة، **كانت عملية كوماندوس سبقت عصرها بعدة عقود**... عليه أن يتسلل بمجموعته عبر ممر غير سالك، يمتد **لأكثر من ثلاثمائة وعشرين كيلومترا**[19] ، في ظرف قياسي، فهو يسابق الزمن واستخبارات العدو... هكذا تشكلت الفكرة، واتضحت ملامح الخطة في ذهن البطل وهو الآن بصدد تجسيدها وتنفيذها...

كان التحدي ألاكبر لهذا القائد هو مدى قدرته على تسويق فكرة الجهاد، في مجتمع يعيش حالة من الفوضى السياسية ويطبعه تعدد الولاءات[20].

ولكن، رغم حالة التشرذم هذه، فإن شعورا عاما موحدا بدأ يتشكل ضد الأعداء القادمين من الجنوب، الساعين إلى إحتلال دار الإسلام. لم تكن مشاعر الرفض كافية بالنسبة إلى سيدي ولد مولاي الزين، لقد كان يطمح إلى أكثر من ذلك بكثير، كان هدفه في هذه المرحلة هو جمع أكبر قدر ممكن من المجاهدين المتطوعين الطامحين إلى الشهادة.

لم يملك سيدي يومها نفوذا سياسيا، وهو ما جعله يلقى صدودا في الأيام الأولى، لأن قلة فقط هي التي استشعرت حجم الخطر البعيد. كانت الحجة التي دفع فيها المثبطون في وجه دعوة الجهاد التي أطلقها سيدي للتو هي أن مواجهة النصارى تعد عملا متهورا، بل وانتحارا مؤكدا، إذ **"كيف لهذا الشريف الذي لا يملك سوى إناء(سطله) يتوضأ فيه أن يواجه قوة إستعمارية كبيرة ومسلحة، قهرت الجميع وحصلت على ولائهم، في جنوب البلاد وشرقها"**[21].

في مواجهة هذه الدعاية المثبطة، لجأ سيدي إلى **شيخه محمد محمود بن الشيخ الكبير المعروف بالخلف**، شيخ **الطريقة الغُظْفِية** التي ينتمي إليها. كان الشيخ **محمد محمود** من المناوئين للاستعمار، لذلك فقد شجع **سيدي ولد مولاي الزين** وحثه على المضي قدما إلى قلعة تجگجه، وأكد له أن رؤياه تعني شيئا واحدا وهو أنه قاتل **كوبولاني** لا محالة، كما حث مريديه على الاستجابة لدعوته.

---

[18] ـ يقع واد امحيرث على بعد 25 كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من مدينة أطار عاصمة ولاية آدرار.

[19] ـ هي المسافة التقريبية التي تفصل واد امحيرث عن مدينة تجگجه.

[20] ـ كانت البلاد في تلك الآونة تعاني من غياب سلطة مركزية قوية.

[21] ـ مقابلة مع الراوية محمد محمود ولد هنون في قرية امحيرث بتاريخ 11/02/2008

لم تكن استجابة المريدين كافية، لكنه حصل على تبريكات الشيخ ودعائه، وعندما هم بمغادرته أهداه **الشيخ محمد محمود** سيفا بتارا، وأخبره أنه **الأداة** التي سوف يقطع بها **"رأس الثعبان"...!!**

وظف **ولد مولاي الزين** عناصر قوته الذاتية... **استخدم كاريزميته الشخصية وجاذبيته الروحية**، حتى تجمعت حوله **قلة من المجاهدين الصادقين**، الذين اتفقوا معه على مرافقته في السراء والضراء... لم يخبرهم في البداية عن وجهته الحقيقية، لكنه أكد لهم أنهم سيبدأون قريبا **رحلة إلى الجنة**...!!

بلغ عدد المجاهدين حتى الآن ستة عشر رجلا، كل منهم مزود ببندقية تقليدية من نوع **"اكشام"**[22]، باستثناء الفتى اليافع **سيد احمد ولد اعميره ولد اباه** الذي كان أعزلا من السلاح، وسيظل كذلك، أما سيدي فلم يتقلد أكثر من ذلك **السيف البتار** الذي أهداه له شيخه، وكان بحق مطمئنا إلى تسليحه...!!

واد امحيرث... حيث ولدت فكرة الجهاد، و انطلق المجاهدون

بعد أن تمكن **سيدي**، خلال ثلاثة أسابيع من جمع هذا العدد من المجاهدين حوله، والذي اعتبره كافيا لتنفيذ عملية بهذا الحجم من **الجرأة والسرية**، كان لابد قبل الشروع في أي خطوة تالية، من تأمين أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العدو، الذي ما يزال حتى ذلك الحين مجهولا وغريبا.

---

[22] **- بندقية تقليدية تكرارية.**

اختار سيدي لهذا الغرض محموعة من المجاهدين، تتألف من:

- **أحمد سالم ولد عرگاب**
- **محمد ولد أعميره**
- **موسى ولد بوبيط**
- **عبد الرحمن ولد عبد**
- **سيدي ولد بوبيط**[23]

انطلقت المجموعة من **واد امحيرث** باتجاه تجگجه، قبل بدأ عملية التسلل بثلاثة أسابيع. انتظر **سيدي** عودة مفرزة الاستطلاع، لكن الانتظار طال، ولم يعد واثقا من عودتهم قريبا، لذلك قرر بدأ المسير دون الحصول على المعلومات المتوقعة عن العدو...!!

[23]- **الراوية العربي ولد يبه، مقابلة مع المعني بتاريخ 2008/02/20 في نواكشوط**

الزحف صوب العدو...

ساروا... تدفعهم رغبة جامحة في ملاقاة العدو، **وعقيدة جهادية** بثها فيهم هذا الملهم... بدأت المسيرة المظفرة **يوم السادس من مايو 1905** إلى ذلك المصير المحتوم، لتجسيد الرؤيا وتحقيق حلم قديم، طالما راود وجدان قائد المجاهدين في السر والعلن، في اليقظة والمنام.

بعد الانطلاق صادفوا كلا من **محمد ولد الصفره وأحمد ولد لميلح** في موضع يسمى لعوينه، دعاهما **سيدي** إلى مرافقته في رحلته إلى الشهادة وأخبرهما أنه ماضٍ إلى قلعة تجگجه، وأنه ينوي قتل **كوبولاني** وبلوغ أمنية قديمة، أطلعهما على تفاصيل الخطة وغايتها... لم يتردد الرجلان في قبول الدعوة، وقررا الانضمام إلى موكب أهل الجنة. وفي موضع **"انتانه"** التقوا بمجاهد آخر هو **ميلود ولد لفرك**، الذي كان على موعد مع القدر عندما صادف قافلة الجهاد.

عبر هذه السهول الممتدة، حث المجاهدون الخطى سيرا على الأقدام من آدرار إلى تگانت

تابعوا سيرهم، دون كلل، لم يتوقفوا، لم يناموا، **كان زادهم التمر والماء والنبق واللحم المجفف، وكان لديهم من المراكب ثلاثة جمال فقط.**

بعد أربعة أيام من المسير، و بالتحديد في العاشر من مايو 1905 توقفوا في منتصف الطريق، عند الخط الفاصل بين تگانت وآدرار، بعد أن قطعوا مسافة تقدرب 150 كلم، وأمضوا ليلتهم في ضيافة أسرة أهل **يبه ولد زيدان ولد مولاي الزين**، ابن شقيق **سيدي و لد مولاي الزين.**

خلال استراحة المحارب هذه، التي شكلت فرصة لإلتقاظ الأنفاس، ومنح قسط من الراحة للأجساد المنهكة، أعاد المجاهدون تقييم الخطة على ضوء **شح المعلومات المتوفرة عن العدو**، الناجم عن فقدان أي أثر لمجموعة الإستطلاع التي انطلقت قبل أيام. لم يؤثر هذا الواقع على معنويات المجاهدين، بل زادهم مضاء عزيمة وصدق إيمان...!!

مفاجأة سارة

كان القدر قد هيأ لطلاب الشهادة هؤلاء مفاجأة سارة عند هذا المنعطف من الطريق، فقبيل الشروع في المرحلة الثانية والأخيرة من مراحل الزحف نحو العدو، وبعيد اجتياز الخط الفاصل بين إقليمي تگانت وآدرار، حدث ما لم يكن في الحسبان...لقد ظهر فجأة رفاق الدرب القدامى الذين تاهوا في الصحراء، ظهرت مجموعة الاستطلاع... كانوا أربعة فقط، هم:

- **أحمد سالم ولد عرگاب**
- **محمد ولد اعميره**
- **عبد الرحمن ولد عبدي**
- **موسى ولد بوبيط**

أما الخامس وهو سيدي ولد بوبيط فقد وقع في قبضة كوبولاني.

كانت المجموعة المذكورة قد أنجزت مهمتها[24]، وجمعت معلومات وافية حول قلعة تجگجه التي يتخذها **كوبولاني** مقرا له، وعندما قرروا العودة دخلوا في اشتباك مع إحدى المجموعات المحلية. وقد تمكنت هذه المجموعة المعادية من إلقاء القبض على **سيدي ولد بوبيط**، في حين افلت الآخرون، وهم لا يعلمون شيئا عن مصير رفيقهم المفقود.

أعاد **سيدي ولد مولاي الزين** جمع خيوط العملية وتقييم عناصر الخطة على ضوء المعلومات التعبوية الجديدة، لكنه كان بحاجة إلى من يمده بمعلومات عن ما يجري في الداخل...**خطة الفرنسيين للدفاع عن الثكنة...نظام حراستهم...عددهم وعدتهم...كلمة السر... حلفاءهم، من يحق له دخول الثكنة من ساكنة المدينة؟.. من يحظر عليه دخولها؟.. متى يتم ذلك وكيف؟...ما هي المجموعات التي قد تشكل سندا محتملا للمجاهدين؟.. من هم المحايدون؟... كيف يتم التنفيذ والتمفصل وتوزيع المهام والتنسيق أثناء العملية؟.. وما هو أسلوب الانسحاب الأمثل بعد تنفيذ**

---

[24]- **يشكك بعض الرواة في وجود مجموعة للاستطلاع، لكن جملة من الأسباب و المعطيات الموضوعية دفعتنا إلى اعتماد فرضية الاستطلاع. وهذه الأسباب هي:**

1- يجمع الرواة على وجود معرفة مسبقة، على الأقل مابين سيدي ولد مولاي الزين و مجموعة الاستطلاع، بدليل انضمام هذه المجموعة إليه ومشاركتهم في العملية.

2- يقتضي القيام بعملية عسكرية بهذه الجراة والدقة وفي منطقة مجهولة نسبيا بالنسبة للمجاهدين الحصول على معلومات تعبوية دقيقة. ومن المحتمل أن يكون سيدي الذي برهنت أحداث العملية على ذكائه ودقة تخطيطه قد كلف، في بواكير دعوته إلى الجهاد بعض أبناء المنطقة التي ينحدر منها عناصر الاستطلاع بالتوجه إلى تكانت لجمع المعلومات، خصوصا وأن تسيير المفارز القتالية في تلك الفترة كان أمرا عاديا ولا يلفت أي انتباه.

3- يتفق الرواة والفرنسيون من خلال كتاباتهم الموثقة على أن الفائدة كانت عظيمة بالنسبة للمجاهدين من مجموعة الاستطلاع، حيث تمكنوا بالاستعانة بما قدموه لهم من معلومات من إعداد خطة محكمة، أسفرت في اللحظات الأولى للهجوم عن قتل كوبولاني والسيطرة على القلعة. وحتى لو افترضنا أن سيدي ولد مولاي الزين لم يكلف هذه المجموعة أصلا باستطلاع المنطقة والقلعة، إلا أن المجموعة المذكورة قدمت ما هو أهم بكثير من مجرد معلومات تعبوية، فقد شاركت في التنفيذ أيضا.

المهمة؟؟؟

الحيز الذي بنيت عليه قلعة تجگجه، حيث تبدو بقايا السور

لكن **التساؤل الملح** كثيرا، الذي أرق **سيدي ولد مولاي الزين** هو احتمال علم العدو بنبإ الإغارة، خاصة في ظل إمكانية انتزاع معلومات من هذا النوع من **سيدي ولد بوبيط**، عنصر الاستطلاع، الموجود بين أيدي الفرنسيين.

إن حصول هذا الاحتمال يعني في حقيقة الأمر أن الخطة سوف تكون في مأزق كبير، نظرا لسقوط **عنصر المفاجأة** الذي يعتبر أقوى الأسلحة التي يمتلكها المجاهدون... تساؤلات كثيرة، طافت برأس القائد وهو على أبواب تنفيذ عملية عسكرية تاريخية، سوف تزلزل المشروع الاستعماري الفرنسي في الأراضي الموريتانية... **كانت عملية ذهنية، هدفها إنتاج الحل وتحديد أدوات العمل، في ظل ضبابية تلف الموقف التعبوي.**

رغم هذا الغموض، ما يزال قرار الزحف ساريا، وما تزال إرادة القتال ضد الأعداء قوية، فروح الجهاد التي بثها القائد الملهم في رفاقه ما تزال تغذي عشقهم للشهادة، وملاقاة أعداء الله ورسوله.

اصطحبوا مجموعة الاستطلاع، ومضوا في سعيهم الحثيث نحو هدفهم البعيد، عبر طريق متعرج غير سالك على الأرض، لكنه **مستقيم في وجدانهم وعقولهم**. خطوا تلك الخطوات الواثقة إلى مصيرهم الذي قرروه واختاروه...

هدية استخبارية عظيمة

بلغ طلاب الشهادة موضع **كلمسي**[25] يوم الجمعة في منتصف النهار، بعد يوم ونصف من المسير، فقرروا التوقف مؤقتا لتناول **الغداء الأخير**...اختاروا كهفا في قمة الجبل، وبدءوا في تحضير وجبتهم، حيث أملى عليهم حدسهم الأمني اللجوء إلى أعلى نقطة في الميدان، لتجنب انتشار رائحة الشواء التي يمكن أن تثير اهتمام عيون العدو المنتشرة في ضواحي قرية تجگجه، خاصة وأن الموضع المذكور لا يبعد أكثر من 20 كيلومترا عن القرية، لكن رائحة الشواء التي أثارت تخوف المجاهدين... حملت إليهم هدية **استخبارية عظيمة**، لم تخطر لهم على بال...لقد دلت عليه رفيقهم القديم المفقود، **سيدي ولد بوبيط**... ومرة أخرى كان المجاهدون على موعد مع القدر، الذي هيأ لهم مجددا أسباب النجاح.

هضبة كيليمسي حيث تناول المجاهدون غداءهم الأخير

كان **سيدي ولد بوبيط** الذي أفرج عنه **كوبولاني** للتو، على علم كامل بكل صغيرة وكبيرة من أمور العدو. لقد خبر المكان جيدا، فالرجل كان محتجزا عند مدخل القلعة، وضعوه هناك، وربطوه في الإسطبل بين الدواب، حتى يكون عبرة لمن تخول له نفسه السطو على ممتلكات الآخرين...!!

كانت تهمة السطو أو السرقة هي التي ساعدت ضمنيا، المترجم الشهير **محمدن ولد ابن المقداد**، المعروف محليا **بدودو سك**[26]، في معرض دفاعه غير المباشر عن **سيدي ولد بوبيط** أمام **كوبولاني**. فقد تمكن هذا المترجم، أثناء جولة صباحية له مع **كوبولاني** من المرور به أمام مدخل القلعة، حيث يوجد **سيدي ولد بوبيط** الذي كان في وضعية مزرية...**"كان مربوطا بحبل في خصره في العراء بدون ظل أو مأوى أو طعام، فقد كانوا يتعمدون إضافة التراب والأوساخ إلى ما يقدمونه له من مأكل أو مشرب، وقد اضطره ذلك إلى العيش على البلح غير الناضج...!!.**

لكن الرجل كان يحظى من حين لآخر بلفتة غير متوقعة من المترجم ولد ابن المقداد الذي كان يرمي إليه بقايا اللحم دون أن يثير ذلك انتباه الآخرين... كانت شهية ولد بوبيط تُفتح في كل مرة يمر عليه فيها ولد ابن المقداد، ويتوقع الحصول منه على قطعة لحم، ويبدأ في الاستعداد لالتقاطها قبل أن تختلط بالتراب...!!"[27]

---

[25]- هضبة تحوي كهفا، تقع على بعد 20 كيلومترا إلى الشمال الغربي من مدينة تجگجه

[26]- مترجم معتمد لدى الإدارة الاستعمارية

[27]- الراوية محمد محمود ولد هنون، مقابلة سابقة

حيلة ماكرة

تعمَّد **ولد ابن المقداد** أثناء حديثه مع **كوبولاني** الاسترسال في حديث مطول، تناول فيه **"رسالة فرنسا"** إلى شعوب العالم وما تحمله من**"قيم إنسانية نبيلة"...** كان **سيدي ولد**

كوبولاني أثناء اجتماعه ببعض الأعيان

بوبيط، المربوط في الإسطبل بين الدواب وأمام ناظري **كوبولاني** المثال الحي على زيف الرسالة، وانحطاط قيم الجمهورية الفرنسية... انتهز **دودو سك** هذه الفرصة السانحة ليخاطب **كوبولاني** قائلا **:"إن معاملة إنسان بهذه الطريقة، و إهانة كرامته على هذا النحو سوف تلحق ضررا بالغا بسمعة فرنسا داخل مستعمراتها."**... لم يجد **كوبولاني** بدا من مجاراة **دودو سك** فأمر، على مضض بإطلاق سراح **سيدي ولد بوبيط،** فورا ودون تأخير...!!

كانت حيلة ماكرة، نسجها **دودو سك** وأثمرت حرية للمجاهد المذكور، لكنها كشفت عن تعاطف دفين يكنه هذا المتعاون مع الفرنسيين لأبناء المنطقة.

تقدير الموقف وإعداد الخطة

الرائد لويس فريرجانه، الضابط الذي تولى مؤقتا قيادة البعثة الفرنسية بعد موت كوبولاني

قدم **سيدي ولد بوبيط** عرضا مفصلا، شمل **"كل المعلومات المتعلقة بالأفراد والمكان، وعرفوا(أي المجاهدون) منه كل ما ينبغي أن يعرفوه، وهو ما ساعدهم في إعداد المخطط وتنفيذه بدقة وعناية"**[28].

كان من المستحيل تكتيكيا اقتحام الثكنة نهارا، فقد كان عدد الجنود كبيرا، وهو ما أكده لاحقا الرائد **"لويس فريرجانه"**[29] **COMMANDANT Louis FRERE JEAN**، الذي تولى زمام الأمور بعيد موت **كوبولاني**، فقد تساءل هذا الضابط في مذكراته قائلا: **"كيف تمكن عشرون فردا من مهاجمة قلعة محصنة، تحوي 500 فردا، مسلحين تسليحا جيدا، ولديهم مؤن كافية من الذخيرة."**[30].

لكن ما منع **سيدي ولد مولاي الزين** حقا من الهجوم نهارا هو إجراءات الأمان التي اتخذها **كوبولاني** مؤخرا، حيث كان قد عمد إلى قطع الأشجار والنخيل الموجود في المحيط القريب من الثكنة، الذي قد يشكل سواتر لأي عملية تقرب أو تسلل محتملة. وقد صاحبت هذه الإجراءات تعليمات دائمة، تقضي بإطلاق النار على أي شخص غريب يحاول الاقتراب أو اجتياز البطحاء في اتجاه القلعة.

استقر رأي المجاهدين بعد تشاور على الهجوم ليلا، مساء الثاني عشر من مايو 1905 عند صلاة العشاء، والتسلل مع الرعاة الذين يجلبون الحليب كل ليلة إلى القلعة، حيث دأب **كوبولاني** على إرغام أهل تجگجه على جمع مواشيهم كل ليلة، عند الغروب أمام مدخل الثكنة، ليأخذ أفراد الحامية حاجياتهم من الحليب. كان على ساكنة تجگجه توفير كمية كبيرة من الحليب كل ليلة، وعندما يتم ذلك يصبح من حق الرعاة الانطلاق لشأنهم...!!

استغرق **سيدي ولد مولاي الزين** في لحظة تأمل طويلة، انزوى خلالها عن بقية المجاهدين بعد أن أشار على ابنه **اللّ** أن يؤم المصلين في صلاة جمع وقصر للمغرب والعشاء. حاول استشراف الخفايا التي يخبئها ظلام هذا الغروب الذي بدأ يغشى الكون.

---

[28]-COMMANDANT Louis FRERE JEAN- MAURITANIE :1903-1911,MEMOIRES DE RANDONNES ET DE GUERRES AU PAYS DES BEIDANES-P 306

[29]- ينحدر النقيب لويس فريرجان من وسط صناعي، حيث كانت أسرته تعمل في الهندسة المعدنية. وهي أسرة ثرية، وقد عمل مفتشا للصناعات في معامل أبيه المعدنية الكثيرة لمدة من الزمن. درس الإعدادية وتخرج من "أكاديمية ساينت كري العسكرية" وعين لمدة سنتين في مشاة البحرية. خدم لأول مرة خارج فرنسا في كوكوتشيني ثم في تونكين (بفيتنام وإندونيسيا)، حيث حصل على أول رتبة في خدمته العسكرية، إضافة إلى شهادة في اللغتين "الفيتنامية والأندونوسية" وبعد أن خدم لمدة في بلاد الهند الصينية ، توجه إلى المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية.

[30]- نفسه- ص 306

كانت هذه الفسحة، فرصة للعابد الزاهد للدعاء والتبتل، تماما مثل ما هي فرصة للقائد الملهم لإعادة تقييم المعطيات ووضع اللمسات الأخيرة على **الخطة النهائية**... اقتحم المجاهد **أحمد ولد اعميره ولد اباه** على **سيدي** خلوته، ليذكره بأن هناك من يرغب في أن يشاطره أفكاره... بل والمصير أيضا...
دعا **ولد مولاي الزين** رفاقه إلى **اجتماع أخير وعاجل**... كان حقا **قائدا فذا**، يأخذ مكانه وسط أركانه، يصدر الأوامر ويوزع التعليمات ويستقبل منهم الرأي والمشورة...
خلال هذا اللقاء أفصح **سيدي** للمرة الأولى عن نيته الحقيقية أمام رفاقه[31]... إنه مقبل على قتل رأس الكفر والتجبر **كزافيي كوبولاني**...ذلك العدو القابع هناك، على مرمى البصر في قلعته الحصينة... لم يلق امتعاضا ولا تبرما، فقد خلق هؤلاء الرجال من ذات الطينة التي خلق منها ملهمهم، إنها طينة البطولة والشجاعة والإقدام، فهيهات منهم الذلة والجبن، كانوا حقا **"رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه..."**.

كان تعداد وأسماء موكب الجهاد المستنفر للشهادة على النحو التالي:

1- سيدي الصغير ولد مولاي الزين
2- عبد الرحمن القاسم الملقب اللّه ولد سيدي ولد مولاي الزين
3- العربي ولد زيدان ولد مولاي الزين
4- محمد السالك ولد السالك الملقب الجاش
5- السالك ولد الدّدْ ولد البطاح
6- سيدا حمد ولد اعميره
7- أحمد ولد اعميره
8- محمد ولد اعميره
9- محمد ولد الجيه ولد ويس
10- سيدا حمد ولد الجيه ولد ويس
11- الكوري ولد اشويخ
12- أحمود ولد اعليه
13- أحمد ولد هنون
14- محمد ولد الصفره
15- أحمد مولود ولد لميلح
16- محمد ولد ميلود ولد لفرك

[31]- يتحدث بعض الرواة عن امتناع سيدي ولد مولاي الزين عن الإفصاح عن الهدف الحقيقي من المهمة لبعض رفاقه، لكن الشيء المؤكد هو أن الجميع أصبح منذ هذه اللحظة على علم كامل بحقيقة الهدف الذي يسعى إليه سيدي، والأهم من ذلك أن الكل يدرك حجم الخطر الذي تنطوي عليه مثل هذه العملية، ورغم ذلك كانوا يتسابقون إلى المشاركة في الهجوم على قلعة تجگجه.

17- أحمد سالم ولد عرگاب
18- محمد ولد لحويرثي
19- محمد المختار ولد امحيمد
20- اسويدات ولد ابياه
21- موسى ولد سيدي ولد بوبيط
22- خطاري ولد احمد ولد بوبيط
23- عبد الرحمن ولد العبد
24- سيدي ولد أحمد ولد بوبيط

خطة الانسحاب

اطمأن **سيدي** إلى رفاقه الذين طالما كانوا محل ثقته، وبدأ في وضع عناصر الخطة... حدد **موقع كلمسي** كنقطة للتجمع بعد تنفيذ العملية... كان على من سينجو، بعد تحقيق الهدف والقضاء على **كوبولاني**، أن ينسحب فورا وينتظر **طلوع الشمس "مرتين"(حوالي الساعة التاسعة أو العاشرة صباحا)** ثم ينطلق في طريق العودة إلى آدرار.

كان من الضروري الإبقاء على بعض العناصر في نقطة التجمع لحراسة الجمال التي سوف تؤمن النقل للعناصر المنسحبة. ولكن كان لا بد أيضا من الاتفاق منذ الآن على الإشارة التي سوف تشكل **"أمر الانسحاب"**. ولأن **سيدي** كان قد قرر أن يجاهد حتى ينال الشهادة، فقد لا يكون موجودا لإصدار أمر كهذا... لذا أمر المجاهدين أن من يقتل **كوبولاني**، أو يعلم بمقتله، فإن عليه أن يصيح بأعلى صوته:**"مات كبولاني... مات كبولاني"**، وعلى كل مجاهد سمع هذه الإشارة الصوتية أن ينسحب فورا إلى نقطة التجمع في **كلمسي**، دون انتظار الآخرين...

وعندما همت المجموعة بالانطلاق، حدث إشكال طارئ... إذ لم يتطوع أي عنصر للبقاء، كان الجميع متلهفا للمشاركة في التنفيذ. أمام هذا الوضع، قرر **سيدي** تعيين العناصر التالية:

- **العربي ولد زيدان، الذي كان يعاني من لسعة أفعى**
- **محمد ولد اعميره**
- **سيدي ولد بوبيط**، الذي كان سبب تخلفه هو معرفة عناصر الحامية به، وقد تؤدي عودته إلى اكتشاف أمر الهجوم.

في ختام الاجتماع، دعا سيدي ربه أن يجتمع بأصحابه هؤلاء في جنات الخلد...

لقد انقشعت أخيرا غمامة الضباب التي كانت تلف قلعة تجگجه من بعيد، و أصبح القرار نافذا و الطريق سالكا... اتضحت الرؤية، بعد أن قدم هذا الزائر غير المنتظر كل الإجابات الشافية على جملة الأسئلة والتساؤلات، التي عرقلت حتى الآن وضع الخطة النهائية...

الخطوة الأخيرة...

تقدمت العصبة المظفرة ... **نيف وعشرون رجلا**، لم يغب عن بالهم لحظة حجم الخطر القريب، كانوا على علم كامل بقوة العدو، عدته وتعداده، لكن أسلحتهم كانت الأقوى... كان لديهم **الإيمان والشجاعة وصدق العزيمة**... وأهم عنصر من عناصر الحرب وهو **المفاجأة**...

لقد أدركوا، بتجربة المحاربين المجربين حجم الأثر النفسي الهدام، والقلق والارتباك الذي ستحدثه المفاجأة في صفوف أعدائهم، ولا بد أن يساعد ذلك في ميل ميزان القوى لصالحهم، خاصة أن **الهجوم سوف يكون سريعا ومباغتا، ولن يستغرق أكثر من خمس دقائق**[32]**...!!**

صدر أمر المسير الأخير... كانوا متحفزين ومندفعين لقطع الخطوات القليلة المتبقية، التي تفصلهم عن الشهادة، رغم أن آخر عهد لهم بالنوم كان الليلة قبل البارحة...إنهم في سباق حقيقي مع الزمن، فقد حثهم **سيدي ولد مولاي الزين** على الإسراع حتى لا يفوتهم شرف قتل **كوبولاني..."فهو ميت هذه الليلة لا محالة"**[33]**...!!**

كانت هذه **البشرى** التي زفها **ولد مولاي الزين** إلى رفاقه قبيل موعد التنفيذ، دليلا آخر على حنكة القائد، وقدرته على **تحين اللحظة النفسية الملائمة للعمل واستغلالها...**

28-**COMMANDANT Louis FRERE JEAN- opcit.p.288**

29- الراوية السالك ولد خوكه، مقابلة مع المعني في قرية امحيرث بتاريخ 11/02/2008

على مشارف تجگجه...

وصل المجاهدون إلى مشارف مدينة تجگجه، قبيل موعد صلاة العشاء. وحتى لا ينكشف أمرهم، وإمعانا في احتياطات الأمان والتمويه قرروا التواري وراء سواتر من شجر القتاد في بطحاء تجگجه... فجأة مر بهم رجل في هيأة راعي غنم... قبضوا على الرجل وأحضروه إلى **سيدي** حيث استجوبه، فكانت إفاداته التي تطوع للإدلاء بها كاملة ومطابقة تماما لأقوال **سيدي ولد بوبيط**... لكن الرجل الذي يدرك حجم القوة الفرنسية استصغر القوة المهاجمة، وسأل **سيدي** عن بقية المقاتلين، فأجابه بأن لا وجود لمقاتلين آخرين، وبأن ما يراه هو العدد الكلي للمجاهدين...هنا طأطأ الراعي رأسه مستنكرا، فهو لم يستوعب هذه المعادلة التي تضع نيفا وعشرين رجلا، مزودين بأسلحة بدائية في مواجهة أزيد من خمسمائة جندي نظامي، يتوفرون على الأسلحة والمعدات الحديثة، ولديهم مخزون كبير من المؤن والذخيرة... لم يتمالك الرجل نفسه، فصاح في وجه المجاهدين قائلا:**" إنكم مقدمون على حامية عسكرية قوية، كثيرة العدد ومجهزة بأحدث الأسلحة و أفضل العتاد، ويلزمكم أن تكونوا أكثر عددا وعدة... عليكم أن تزدادوا...عليكم أن تزدادوا..."**[34]، أدرك الرجل قوة العدو بالعين المجردة، لكنه لم يتبين قوة الإيمان وصدق العزيمة التي تعتمل منذ زمن في نفوس هؤلاء المجاهدين...

بدءوا بالتسلل، وكان الراعي دليلهم... كان في كل مرة يلتفت إليهم ويردد قائلا:**"ازدادوا...عليكم أن تزدادوا".**

ويكشف لقاء هذا الراعي بالمجاهدين، الذي جاء على شكل **"صدفة"** جانبا من علاقة التعاون المفترضة بينهم وبين المجموعات المحلية، حيث تشير الرواية المتداولة محليا إلى وجود تنسيق بين بعض **أعيان مدينة تجگجه** و**سيدي ولد مولاي الزين**، قبيل وأثناء تنفيذ العملية. فقد **"أوعز هؤلاء الأعيان إلى القائمين على تقديم الخدمات(جلب الطعام) في تلك الليلة بمساعدة المجاهدين في تمييز مقر إقامة كوبولاني والوصول إليه"**[35].

الراوية سيدي ولد محمد الأمين ولد محمد أحيد ولد سيدي عبدو الله

ويشير الباحث **سيدي ولد عمار ولد النمين**[36] إلى أن بعض مظاهر هذا التنسيق تمثلت في استغلال التشابه القائم بين اسمي قائد المجاهدين

30- الراوية محمد محمود ولد هنون، مقابلة سابقة

31- الراوية سيدي ولد محمد الأمين ولد محمد أحيد ولد سيدي عبد الله، مقابلة مع المعني في تجگجه بتاريخ: 06/08/2008

[36]- مقابلة مع الباحث في تجگجه بتاريخ: 06/08/2008

سيدي ولد مولاي الزين والرجل المشرف على تقديم الخدمات في تلك الليلة وهو **سيدي ولد الزين**، بحيث يتمكن المقاومون من الدخول إلى القلعة على أنهم عمال تقديم الخدمات، **"وهكذا تلقى الفرنسيون الطلقات في الوقت الذي كانوا فيه ينتظرون الخدمات...!!"**[37].
وتجد هذه الرواية المحلية ما يدعمها في ما دونه **الرائد "لويس فريرجانه"** لاحقا في كتابه الآنف الذكر، حيث أشار هذا الضابط الفرنسي إلى وجود علاقة مريبة بين بعض سكان تجگجه و**سيدي ولد مولاي الزين**، حيث كتب قائلا :**"... تحول الأسى إلى غضب شديد على هؤلاء "القتلة" والمتواطئين معهم، ولن ننسى أن الحارس تم إشغاله عن الرقابة قبل انطلاق الهجوم من طرف عبدي ولد امبارك وسيدي ولد الزين، بالإضافة إلى أن الرماة قد أكدوا تلقيهم طلقات نارية من بعض منازل المدينة والبطحاء... لقد رفضت إيدوعلي الإبلاغ [عن مقدم المجاهدين]، ويحتمل أن تكون هذه المجموعة قد تواطأت مع المهاجمين"**[38].
ومما عزز اعتقاد **فريرجان** حول إمكانية وجود تكتم أو تعاون مشبوه بين المجموعة المحلية والمجاهدين هي الإفادة التي أدلى بها لاحقا **المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه** أثناء محاكمته، حيث أشار- على لسان **فريرجان**- إلى أن **"إيدوعلي الذين كانوا يعرفون الشريف جيدا كانوا قد شاهدوه وهو يمر بين مضاربهم، لكنهم لم يبلغوا الحامية"**[39].

وصل المجاهدون، صحبة دليلهم إلى واحة نخيل قريبة من المراح الذي تجتمع فيه عادة غنم أهل تجگجه كل ليلة، لتوفير الحليب لعناصر الحامية. كانت هذه الواحة واقعة قبالة القلعة، على الطرف الآخر من البطحاء. قدر **سيدي** أن هذه الواحة التي تشرف على معسكر الفرنسيين، تشكل موقعا استثنائيا لعناصر الإسناد، فقرر على الفور الإبقاء على مجموعة تتراوح ما بين ثلاثة إلى خمسة مجاهدين، لتأمين الدعم والإسناد بالنار، لحظة انطلاق الهجوم...

كان المجاهدون ينتظرون **إشارة التنفيذ التي سوف يعطيها العدو...!!**، وهي **صافرة تطلقها الحامية** إيذانا للرعاة والعمال بدخول القلعة، لجلب الحليب والطعام[40]...

وإلى أن تحين اللحظة الموعودة، توضأ المجاهدون وتوجهوا إلى ربهم، وأطلقوا دعوات صادقة لنيل الثواب ومعانقة الشهادة التي تفصلهم عنها **نصف خطوة وصافرة**... لكن الراعي ظل يردد:**" ازدادوا...إن عليكم أن تزدادوا"**... فجأة، رن الصوت المنتظر، القادم من الطرف الآخر من البطحاء، فتحركت الأفئدة التواقة إلى لقاء ربها...

32- خلال تقصينا للرواية الشفهية التي ورثها المجاهدون لأبنائهم وأحفادهم، وكذلك أثناء بحثنا في الكتابات الموثقة التي دونها الفرنسيون حول العملية، لم نعثر على ما يشير إلى مثل هذا الاستغلال للتشابه بين الاسمين، ومن المرجح أنه كان لغرض الاحتياط في حالة الاستفسار عن هويات الداخلين إلى القلعة.

38 - COMMANDANT Louis FRERE JEAN- op cit, p290

39- نفسه- ص 305

40- الراوية محمد محمود ولد هنون، مقابلة سابقة

اقتحام القلعة...

كانت دوافع الاجتهاد لدى هذا الشيخ المؤمن تقتضي منه اتباع المنهج الإسلامي في الجهاد، وهو ما يعني **إعلان الحرب قبل الإقدام على أي عمل من أعمال القتال**... وبغض النظر عن ما يمكن أن يلحق بأمن العمل من خطر من حيث انكشاف أمر الهجوم، إلا أنه كان قد أدرك، بحس القائد أن التنسيق أثناء العملية يقتضي منه إيجاد وسيلة سريعة لتوصيل أمر الشروع في التنفيذ، خصوصا أن المعلومات الاستخبارية الميدانية تؤكد أن **أحداث المعركة المفترضة سوف تدور في قطر دائري لا يتجاوز الثلاثين مترا**[41]، وهو ما يعني **تكتيكيا** أن مثل هذه الإشارة الصوتية (التكبير) سوف تكون مسموعة إلى حد كاف، من طرف عناصر الإسناد وكذلك عناصر الصولة...

وقبل أن يجتاز المجاهدون البطحاء أصدر **سيدي ولد مولاي الزين** تعليماته الأخيرة**..."أوصانا بالصمت التام أثناء التقدم، وأخبرنا أنه سوف يكون في المقدمة صحبة ابنه (عبد الرحمن القاسم الملقب اللّ)، وأن علينا قبل الدخول أن ننتظر حتى يصيح: "الله أكبر"..."** [42].

الراوية محمد ولد سيدي أحمد ولد اجيه

لقد صدر **"أمر الهجوم"**، وبدأت الصولة. ومن الواضح، من خلال تسلسل الأحداث أن **مجموعة الإسناد** التي ظلت مرابطة داخل الواحة قد تقيدت هي الأخرى بالتعليمات الأخيرة **لسيدي ولد مولاي الزين**.

اختلط المجاهدون بالرعاة والعمال... تقدموا في صمت وترقب وراء ملهمهم... أصابعهم على الزناد وعيونهم على العدو، وقلوبهم ترجو من الله الشهادة... كان **سيدي ولد مولاي الزين** في المقدمة شاهرا سيفه، فقد أصر منذ البداية على أن لا يستخدم إلا هذا السيف الذي ظل يشحذه على طول الطريق بين آدرار وتگانت، في انتظار هذه اللحظة المصيرية التي طالما حلم بها وتمثلها[43]...

---

[41] **-COMMANDANT Louis FRERE- JEAN- op cit -P - 288**

[42] **- نص الحكم الصادر عن المحكمة العسكرية المنعقدة بموجب أمر من النقيب لويس فريرجانه، القائد المؤقت لبعثة تگانت- آدرار في حق المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه بتاريخ 17 مايو 1905، - من أرشيف المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء- موريتانيا.**

[43] **- كان المجاهد محمد السالك ولد السالك الملقب الجاش يعاتب سيدي ولد مولاي الزين كلما شحذ سيفه قائلا له:"يبدو انك عازم على أن تيتم أبناء أهل التناكي بهذه السكين التي تشحذها من حين إلى آخر...!!"، لكن سيدي كان يرد عليه في كل مرة قائلا :"أؤكد لك أن مشاركتكم في هذه العملية سوف تجلب لكم مجدا عظيما...وسوف ترى ذلك..." الراوية محمد**

كان إلى جانبه **ابنه الّلّ** وفتى آخر يافع لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر، أصر على ملازمته حتى النهاية... إنه **المجاهد سيد أحمد ولد اعميره ولد اباه**. لم ينتظر **سيد أحمد** الحصول على سلاح... كان ساعيا إلى الهيجا بغير سلاح، لكنه رغم ذلك قرر ركوب الخطر والمضي في المغامرة، بل إنه كان على يقين من اغتنام سلاح حديث **(قرطاس)** من العدو في ساحة المعركة، **ولقد كان له ما أراد...!!**

استشعر الحارس المتحرك الذي يراقب المدخل الرئيسي حركة غير عادية، لكنه لم يدرك حجم الخطر المحدق به إلا عندما **"رأى عددا من الرجال المسلحين يبرزون من النخيل ويركضون بسرعة نحو باب المعسكر..."**[44]. حاول الحارس المذعور الفرار وتسلق سور القلعة، لكن سيف الجهاد كان سباقا في القضاء عليه... عاجل المجاهدون هذا الحارس وقضوا عليه دون أن يثير ذلك انتباه عناصر الحامية الآخرين ولا حتى الرعاة أو العمال[45]، ومن المرجح أن عملية القضاء على الحارس المذكور قد تمت باستخدام سلاح أبيض، بدل البندقية، تفاديا لإحداث دوي قد يعطي الفرنسيين إنذارا مبكرا، أو فرصة لصد الهجوم قبل أن ينتقل إلى داخل القلعة[46].

تقدموا نحو الباب... ولج **سيدي** عبر المدخل الرئيسي... تبعه **ابنه الّلّ**[47] وثلاثة مجاهدين من بينهم **سيدي أحمد ولد اعميره ولد اباه**... توجهوا مباشرة إلى بيت حديث البناء، قدروا أن يكون مقر سكن **كوبولاني**[48]... تقدموا بخطوات حذرة ومتباطئة لغرض إحداث **المفاجأة المطلوبة**... لكن طول الانتظار بدأ يؤثر على حماسة واندفاع بقية مجموعة الصولة[49] التي كانت قد اتخذت مواقعها تحت السور الشمالي الغربي في انتظار إشارة الانقضاض... لقد ضاقوا ذرعا بهذا الهدوء المريب، بل إن بعضهم بدأ يخامره الشك ويقلق على مصير **سيدي ولد مولاي الزين**...

ولد سيدي أحمد ولد اجيه ابن المجاهد سيدي أحمد ولد اجيه ولد ويس، مقابلة مع المعني في قرية امحيرث بتاريخ 11/02/2008

[44]-**COMMANDANT Louis FRERE -JEAN- op cit-P - 285**

[45]- **الراوية العربي ولد يبه، مقابلة مع المعني 2009 في نواكشوط**

[46]- **أشار الراوية محمد ولد سيدي أحمد ولد اجيه ابن المجاهد سيدي أحمد ولد اجيه ولد ويس، في شهادته حول العملية إلى أن سيدي ولد مولاي الزين "انقض على الحراس الثلاثة وقطع رؤوسهم"، ولأن مختلف الشهادات تؤكد أن سيدي ولد مولاي الزين كان الوحيد الذي يحمل سيفا فمن المرجح أنه هو من تولى القضاء على الحارس الأمامي.**

[47]- **نص الحكم الصادر عن المحكمة العسكرية المنعقدة بموجب أمر من النقيب لويس فريرجانه، القائد المؤقت لبعثة تگانت- آدرار في حق المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه بتاريخ 17 مايو 1905- من أرشيف المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء- موريتانيا.**

[48]- **كان المتعاونون قد زودوا المجاهدين بالمعلومات الكافية حول مكان وتحركات كوبولاني المحتملة في هذا الوقت من الليل، حيث كان يلجأ إلى البيت في حالة هبوب الرياح، أو يمضي ليلته في العريش داخل قبة تنصب له فيه - الراوية محمد ولد سيدي أحمد ولد اجيه ابن المجاهد سيدي أحمد ولد اجيه ولد ويس.**

[49]- **يشير الراوية أحمد محمود ولد هنون إلى أن المجاهدين قد توزعوا إلى ثلاث مجموعات، وهو ما يؤكده الرائد لويس فريرجانه عندما أشار إلى وجود مجموعة الإسناد التي ظلت مرابطة في الواحة المقابلة للقلعة، مما يعني أن العدد الفعلي لبقية مجموعة الصولة يتراوح ما بين 10 إلى13 مجاهدا.**

القضاء على كوبولاني

فجأة، ظهر أمام **سيدي ولد مولاي الزين** ورفاقه أوروبي ضخم، متدثر في ثياب بيضاء... كان **كوبولاني** يخطو على الأرضية الأمامية لمقر إقامته الذي هو قيد الإنشاء[50]، يتأمل القرية الكائنة أمامه، ويستنشق عطر نسائم عليلة تهب عليه من حين لآخر من الواحات المجاورة، ويتخيل نفسه متصدرا طلائع الجيوش الفرنسية الزاحفة على الأراضي الموريتانية، وأعلام الإمبراطورية الاستعمارية العتيدة ترفرف حوله، على هذا الفضاء الصحراوي الممتد من هنا، وحتى الحدود الجنوبية للمغرب والجزائر... لكن نفسية الرجل في هذه اللحظة بالذات كانت مشتتة بين الإحباط والأمل، فقد أنهى لتوه حديثا قصيرا مع النقيب **جرار Gerar** عبر فيه عن انزعاجه من منعه من الاستمرار في الزحف نحو آدرار[51]، فطموحات الرجل كانت قد تحطمت على صخرة رفض **وزير المستعمرات الفرنسي دوميرك Doumergue** لأي مغامرة في اتجاه آدرار:**"لا لآدرار في هذه**

---

[50]- لم يكن قد مضى على وجود الحامية إي مدينة أگجوجت أكثر من شهر واحد، حيث كان كوبولاني قد بدأ في بناء القلعة في الثاني عشر من شهر ابريل.

[51]- الطالب اخيار ولد الشيخ ماميناـ الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربيـ مرجع سابقـ ص 221

الآونة"[52].

البطحاء... حيث عبر المجاهدون مع الرعاة والعمال إلى القلعة

لم يدر بخلد قائد بعثة تگانت- آدرار ومهندس سياسة**"التوغل السلمي"**، وهو يشق طريقه بخطوات أثقلها النعاس، أن يحمل إليه هدوء هذا الليل البهيم في طياته موتا مبكرا، لم يضعه يوما في حسبانه... لقد ذلل كل الصعاب ورتب كل شيء لإنجاز مشروعه"العظيم" الذي وهب له نفسه منذ البداية... لكن المجاهدين لم يكونوا معنيين بحسابات الرجل ولا بطموحاته، لقد كانت لهم كلمة أخرى وقرار مغاير، يوشك أن يتجسد... قدر **سيدي ولد مولاي الزين** أن اللحظة المناسبة لإعطاء إشارة البدء في التنفيذ قد أزفت... فأعلنها مدوية في سماء تجگجه... **"الله أكبر"... "الله أكبر"...** انطلق ذلك الصوت الجهوري المجلجل، ليهز أركان القلعة، ويرهب الأعداء ويثبت المؤمنين...

[52]- محمد سعيد ولد همدي - مرجع سابق، ص 134

مخطط الهجوم على قلعة تجكجه
كما رسمه الرائد لويس افرير جانه

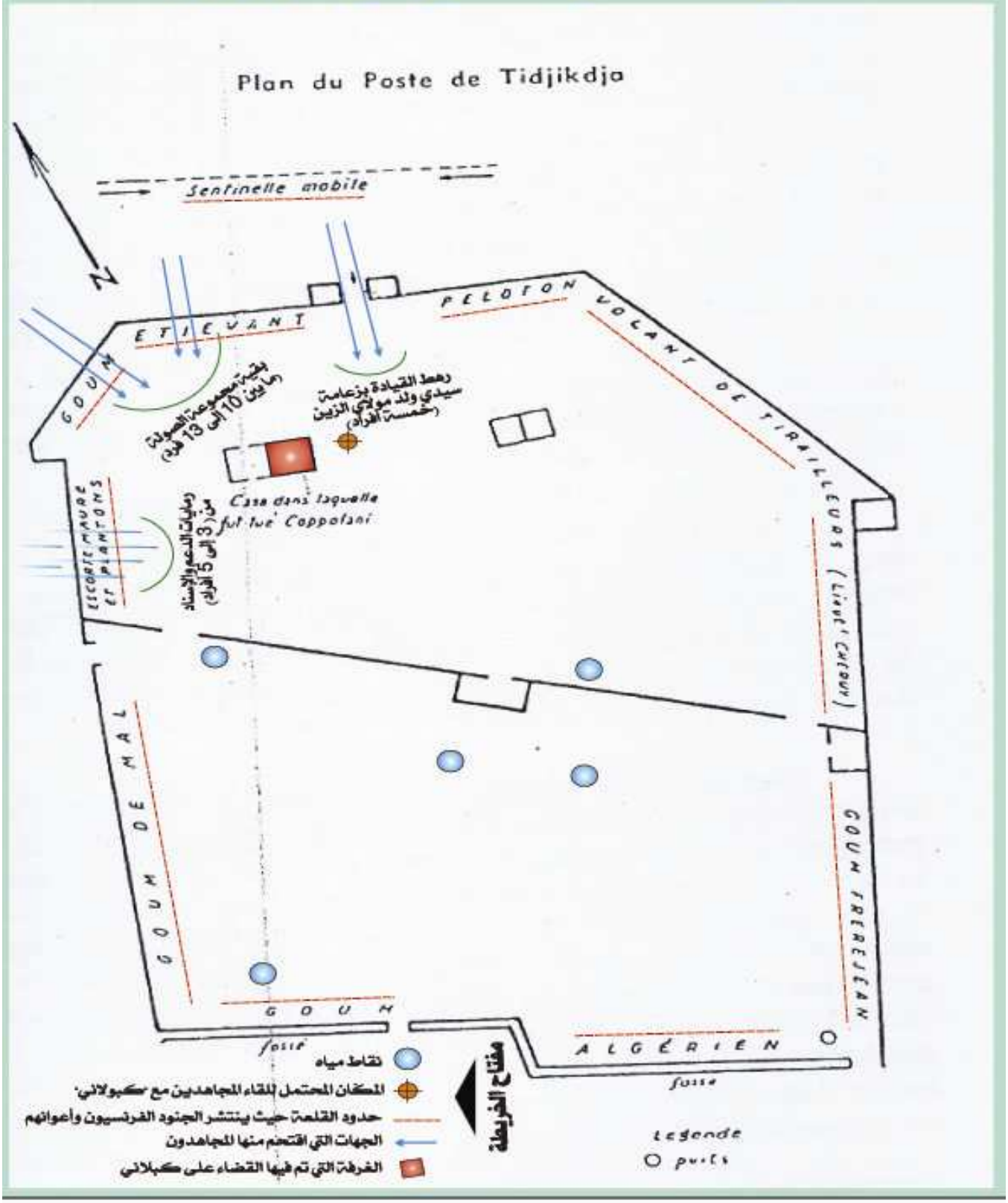

..وأحدث السيف ذلك الصوت المكتوم..

كانت الساعة تمام **التاسعة وخمسٍ وعشرين دقيقة، مساء الثاني عشر من مايو سنة 1905**[53]، عندما انقض قائد المجاهدين **سيدي ولد مولاي الزين** على سيد قلعة تجگجه، ليُحدث السيف البتار ذلك **الصوت المكتوم**، ويستقر **النّصْل في صدر كوبولاني**[54]... سعى الجريح المذعور إلى الهروب من قدره، فأمسك بالفتى الأعزل **سيد احمد ولد اعميره ولد اباه** واتخذه درعا بشرية في وجه **سيدي** ورفاقه، محاولا في نفس الوقت كسر عنقه... كان **كوبولاني** يصيح بأعلى صوته، مستغيثا دون جدوى بأقرب الناس إليه**:"ديالو**[55] **ناولني مسدسي! Diallo, apporte-moi mon revolver"** [56]... بعد لأي، تمكن المجاهدون من فك كماشة ذراعي **كوبولاني** التي أطبقت على **سيد احمد**، وجدعتْ أنفه... وفي الحال، وعلى بعد عشر خطوات فقط[57] وجه إليه أحد المجاهدين المرافقين لسيدي **طلقة مباشرة**[58]، **أصابته في البطن ومزقت أحشاءه**[59] **واخترقت ظهره**[60].. تقهقر الرجل محاولا لملمة جراحه الثخينة، وتوارى في ظلام إحدى الغرف القريبة، يصارع الموت وحده... اثبعه المجاهدون بوابل من الرصاص داخل الغرفة التي أراد الاحتماء بها[61]...

---

[53]-COMMANDANT Louis FRERE- JEAN- op cit-P - 285

[54]- يصف آرنو، الإداري الفرنسي والصديق الشخصي لكوبولاني، طريقة وفاته قائلا:"... كان الدم يسيل بغزارة من جرحيه، كان أحدهما أسفل ثديه الأيسر والآخر وسط جوفه.. تم سبر الطعنة اليسرى، وقد لاحظنا عندما حاولنا رفعه قليلا وجود بقعة من الدماء تحته، وقد أخبرني الطبيب أن اختراق الرصاص الذي أصابه في جوفه قد مزق ظهره "- الطالب اخيار ولد الشيخ ماميناـ الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي- مرجع سابق- ص–222" . وتؤكد هذه الرواية الفرنسية الموثقة تعرض كوبولاني لضربة سيف في القلب(تحت الثدي الأيسر)، وهو ما يعني أن سيدي ولد مولاي الزين هو من سدد هذه الضربة، فقد كان الوحيد من بين المجاهدين الذي أصر منذ البداية على أن لا يستخدم إلا السيف.

[55]- "ديالو Diallo " هو الطباخ الشخصي لكوبولاني

[56]-COMMANDANT Louis FRERE- JEAN- op cit -P - 285

[57]- نفسه- ص- 285

[58]- يشير فريرجانه في سرده لأحداث الواقعة إلى أن كوبولاني تلقى بالفعل طلقة نارية من مهاجمين برزوا له فجأة من ممر المدخل(ص 285)، ولأن المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه قد ثبّت ترتيب المجاهدين على النحو الذي مر بنا في نص الحكم الصادر في حقه، حيث أكد أن سيدي ولد مولاي الزين حرص على أن يكون في المقدمة، يليه ابنه الّلّ، وهو ما أكده الراوية سيد احمد ولد اجيه، فإن الراجح أن يكون هذا الأخير هو من سدد الطلقة، رغم أن بعض الرواة من أمثال سيد احمد ولد اجيه يؤكد أن المجاهد احمود ولد اعليه هو من بادر إلى إطلاق النار على كوبولاني، مع استثنائنا لكل من المجاهدين أحمد ولد اعميره الذي لم يدَّعِي ذلك أثناء استجوابه و سيد احمد ولد اعميره الذي كان أعزلا من السلاح.

[59]- تتميز الطلقات التقليدية بقوتها وكثافتها، خاصة عندما تصيب عن قرب، حيث تنفجر على شكل شظايا قاتلة. وهو ما سيشير إليه فريرجانه لاحقا.

[60]- الطالب اخيار ولد الشيخ ماميناـ مرجع سابق- ص 222- نقلا عن آرنو

[61]-COMMANDANT Louis FRERE- JEAN- op cit-P - 286

لكن القدر سوف يمهل مهندس التوغل الفرنسي في موريتانيا حتى يشهد أحداث معركة بدأت للتو، معركة كان هو هدفها الأكبر وأول ضحاياها...

تبلّغ المجاهدون الذين ينتظرون على أحر من الجمر تحت السور الشمالي الغربي من إشارة البدء، وكذلك رفاقهم المحترسين في الواحة القريبة[62]... سمعوا صوت التكبير الذي تردد صداه في كل اتجاه، وكان ذلك **أمرا واضحا بالشروع في تنفيذ المرحلة الموالية** من خطة الاقتحام..

أطلقت عناصر الإسناد وابلا من الرصاص على القلعة وبسرعة كبيرة... وبالتزامن مع ذلك انقضّت بقية عناصر الصولة عبر السور الشمالي الغربي، حيث يحترس جنود ملازم أول **اتيوفانه ETIEVANT**... وهكذا توسعت دائرة الاشتباك، وارتفع الصراخ ودوي طلقات البنادق في كل أرجاء المعسكر، وتحولت القلعة إلى **ساحة معركة حقيقية**...

أولاَ تْلَ قُمْ مَاهَ اتْغَاويرْ
وَبْگاتْ الدَّارْ كِيفْ ظُوْ اَنْهَارْ وَابْگـــــاتْ تَجَگّجَهْ الاّ آقْنَـــادِير[63]
مَنْ ظُوْ تَكْرَارْ قِيْمُوسْ لَشْفَارْ أُطُـــــــــولْ دَوَامْ گْدْيَ آمّـــــادِيرْ
أَگدَاتْ النَّارْ فَالجَوْ لَـــــحْوَارْ اجْمَرْ وارْصَاصْ كِيفْ عَارَظْ اشْرِيرْ
وَانْگرَظْ مَصْمَارْكَلاّبْتْ العَارْ وَاخْـــلاَتْ انْصَارَه أُومَرْ انْدْرَيْـــر[64]

وقد دفع هذا المشهد المحتدم **فريرجانه** إلى وصف المجاهدين قائلا:**"كانوا في اندفاعهم واستماتتهم، يشبهون إلى حد بعيد المسلمين في الحروب الصليبية. كانوا مصممين على الموت من أجل قتل كوبولاني... لقد تأكد أنه رغم كل شيء يظهر أمثال هؤلاء الرجال."**[65] ، لقد **"هاجموا برباطة جأش واستماتة منقطعة النظير."**[66].

---

[62]- أشار الراوية محمد محمود ولد هنون إلى أن المجاهدين قد توزعوا إلى ثلاث مجموعات(أثلثْ أيْدينْ)، وهو ما عززته شهادة فريرجانه في كتابه الآنف الذكر – ص 306، مقابلة سابقة مع المعني.

[63]- قطعة شعرية (كرزة)، أنشدها الشاعر سلاك ولد الدهاه، في حفل نظمه المجاهدون في قرية امحيرث، بمناسبة الانتصار وقتل كوبولاني، بعد أسبوعين من تاريخ تنفيذ العملية.

[64]- بحثنا في الروايات الشفهية لتحديد هوية "ندرير" الذي يعيِّره الشاعر بالفرار في القصيدة(الكرزه)، وثبَت لدينا أن "ندرير" هذا هو تحريف لاسم "فرير" وهو الرائد لويس فرير جانه الذي فر من المعركة، متسللا من بين المجاهدين في الزي التقليدي الوطني(الدراعه)، ليلجأ إلى جنوده المحترسين على طول السور الغربي من القلعة، وهو السور الذي لم يتعرض للهجوم.

[65]- نفسه- ص 288

[66]- نفسه- ص 306

وكان أداء عناصر الإسناد والتغطية على درجة كبيرة من الفاعلية والروعة، لدرجة أنه **"تولد انطباع [لدى العدو] أن إطلاق النار قادم من المدينة، وأن من بقوا مرابطين حول الجزء الشمالي الشرقي والشمالي الغربي كانوا أكثر ممن دخلوا المعسكر**[67]**."** [68]

لقد **"تعرضت القلعة أثناء العملية لإطلاق نار من البطحاء والمدينة، وواحة النخيل في الجانب الجنوبي الغربي... لم يخامرني [يقول فريرجانه] أدنى شك في أن الهجومين المتزامنين، الداخلي والخارجي كانا منسقيْن، إذ ليس من المنطقي أن يتسلل رجال سيدي، المستعدين للموت معه داخل القلعة دون تغطية وإشغال."**[69].

كان فصلا رائعا من خطة عسكرية، أعدت بعناية شديدة وتجلت فيها **مفاعيل الحرب النفسية**، التي أوهمت العدو أن الهجوم قادم من كل الجهات... المدينة، واحة النخيل، البطحاء، الشمال، الشرق، الغرب... لقد فقد العدو صوابه، و **"لم تعد هناك قيادة عسكرية موحدة ومركزية."**[70].

وقد دفع الإرباك الحاصل، والفوضى والخوف في صفوف الجنود إلى إطلاق النار عشوائيا ودون تركيز. وكان من نتيجة ذلك أن حراس الجزء الشمالي من القلعة **"لم يتمكنوا، أثناء ردهم على إطلاق النار القادم من واحة النخيل من فعل أي شيء، باستثناء قتل ثلاث وعشرين شاة غنم، كانت محجوزة في حظيرة تقع أمام مواقعهم."**[71]**...!!**

كان المجاهدون محاربون بالفطرة، وقد أدركوا جيدا أهمية توقيت وطريقة استخدام بنادقهم التقليدية[72]، حيث سعوا أثناء الهجوم إلى تقليص الفارق الكبير في التسليح بينهم وبين

---

[67]- ثبت لدينا من خلال مقارنة الروايات الشفهية بالموثقة أن عدد عناصر الإسناد كان يتراوح ما بين 2 إلى 5 مجاهدين فقط، لكن شهادة فريرجانه هذه تعكس مدى الارتباك والهلع الذي أصاب الفرنسيين وجنودهم، وهو ما دفعهم إلى إعطاء تقديرات مبالغ فيها، في محاولة ضمنية لتبرير الفشل في صد الهجوم، كما توحي هذه الشهادة بأن رماية الإسناد كانت مكثفة ومركزة، لإحداث هذا الأثر النفسي الهدام في صفوف العدو.

[68]- نفسه- ص 288
[69]- نفسه – ص 306
[70]- نفسه- ص 289
[71]- نفسه- ص 289

[72] - بعض الخصائص الفنية للبندقية التقليدية - <u>المدى العملي</u>: يقدر المدى العملي للبندقية التقليدية ب 80 مترا تقريبا، ومن بين العوامل العديدة التي تؤثر بالسلب على مدى الرمي يمكن ذكر:

- <u>الحلزنة</u> : تفتقر سبطانة البندقية التقليدية إلى خاصية الحلزنة التي تعطي دفعا إضافيا للرصاصة

- <u>شكل الرصاصة</u> : تأخذ الرصاصة التقليدية الشكل المدور بدل الشكل الانسيابي الذي يساعد في مقاومة عوامل الكبح وخاصة الرياح

- <u>العيارأو حجم الرصاصة</u>: يتم تفصيل الرصاصة على مقاس فوهة السبطانة(كَالب المدفع)، لذلك يمكن القول بأن لكل بندقية عيارها الخاص. وتبعا لهذا المقاس يمكن تقسيم "ارصاص" إلى نوعين:

-"<u>مدبّه</u>": وهي الرصاصة المثالية المطابقة لفوهة السبطانة، ويتم إلقامها بواسطة مِدق"آمدك". وتمتاز عند إطلاقها باتخاذها خطا مستقيما من فوهة السبطانة وحتى الهدف، وهو ما يعني التقليل من تأثير العوامل الأخرى على دقة التصويب.

-"<u>امقيروطه</u>": وهي الرصاصة التي تتميز بصغر حجمها بالنسبة لفوهة السبطانة، فهي تدخل بسرعة وبسهولة وبالتالي فإن احتمال انحرافها عن الهدف يبقى قويا.

أعدائهم المزودين بالبنادق الأوتوماتيكية(**القرطاس**) والرشاش الأوتوماتيكي (**بوتاسارت**)، خلال هذه الإغارة الليلية المنسقة، السريعة والمفاجئة، وهو ما أدى بالفعل إلى حرمان أعدائهم من فرصة التسديد، ومنح المجاهدين بالمقابل إمكانية التسديد عن قرب، ومضاعفة قوة تأثير طلقات بنادقهم،

نموذج لبندقية تقليدية، نوع "كشام"

وهي الحقيقة التي أدركها **فريرجانه** بعد فوات الأوان، حيث كتب لاحقا، ردا على من انتقدوه بسبب ضعف أدائه في مواجهة مهاجمين سيئي التسليح **:"في القتال ليلا، تعتبر البندقية ذات السبطانة غير المحلزنة(لكشام مثلا) أكثر كفاءة من البندقية ذات السبطانة المحلزنة سريعة الرمي، خاصة من المسافات القريبة، ويعتبر من غير المنصف وصف المهاجمين الذين يحملون أسلحة غير محلزنة بضعف التسليح. إن الرمي عن قرب ببنادق تطلق رصاصات متفجرة وصليات، هو دائما أكثر كفاءة من الرمي بالطلقات العادية أو المقذوفات"**[73].

في حالة الاضطرار أو نقص في الذخيرة قد يلجأ الرامي إلى استخدام نوع من الحجارة، يطلق عليه محليا "الحجارة الحرة" بدل الرصاص. كما أن قطعا صغيرة من "تنكرده" قد تفي بالغرض، وتسمى رمايتها "الرش".

[73]- نفسه - ص 288

اجتياح القلعة...

... تقدم المجاهدون داخل المعسكر، وأطلقوا وابلا من الرصاص على مقر طبيب الثكنة الذي لم يبرح مكانه، واحتمى داخل غرفته، لكن **كولومباني M. Colombani**[74] الذي تعرضت غرفته هو الآخر لإطلاق النار لم يطق الانتظار وأراد الفرار، محاولا شق طريقه عنوة بين صفوف المجاهدين[75] الذين طوقوا غرفته...!!

أمسك المجاهد **الّلّ ولد سيدي ولد مولاي الزين بكولومباني** أثناء محاولته الفرار[76]، وطرحه أرضا وشرع في إخراج خنجره ليذبحه، ولكن، لحسن حظ هذا الفرنسي انفصلت قبضة الخنجر عن نصله، ولأن الزحام كان شديدا لم تسنح الفرصة لأي من المجاهدين للتسديد عليه[77]، فتخلص منهم بالركلات واللكمات، وأطلق ساقيه للريح[78]...

تمكن المجاهدون من السيطرة على مقر إقامة **كوبولاني**، واحتلال شرق وشمال شرق ووسط القلعة، كما حشروا جنود **تيوفانه** في الزاوية الشمالية للمعسكر، وفي نفس الوقت توجهوا يسارا، ليتمكنوا من صد هجوم الرماة في الجهة الجنوبية... ولولا نوعية ثوبه (الدّراعه) لما تمكن النقيب **فريرجانه** من النجاة والمرور بين المجاهدين، ليفر إلى السور الغربي، حيث يرابط جنوده[79]، ويظل هناك دون أن يشارك في القتال الدائر على بعد بضعة أمتار خلف ظهور جنوده... كان **فريرجانه** يقف متفرجا على جنود **تيوفانه** وهم يصارعون أهوال الموت، دون أن يستطيع مد يد المساعدة لهم...!!

وفي اللحظة التي كانت المعركة فيها على أشدها، برز **لسيدي ولد مولاي الزين** الذي كان **"يبحث عن أوربي آخر لقتله"**[80] ملازم أول **تيوفانه**. كان هذا الضابط يتقدم متخذا من مقر الإقامة ساترا... في محاولة يائسة لتثبيت عناصره، الذين أرغمهم المجاهدون على ترك مواقعهم، ودفعوهم داخل المعسكر[81]... بادر **اتيوفانه سيدي** بطلقة من مسدسه، قبل أن يرد عليه **سيدي** بضربة أصابته في الرأس وأسقطته... **كانت مبارزة غير متكافئة بين السيف والمسدس**، سقط على إثرها المتبارزان جريحان...اعتقد المجاهدون أن هذا العسكري الأوربي، الذي "بدا"[82] صريعا في الظلام هو فعلا **كوبولاني**، فجردوه من مسدسه[83]، وقبعته

---

[74]- أحد أعضاء البعثة الإدارية الفرنسية، والكاتب الخاص لكوبولاني

[75]- نفسه- ص 286

[76]- يؤكد الراوية سيد احمد ولد اجيه هذه الحادثة، لكنه يذهب على أبعد من ذلك، حيث يقول إن الّلّ تمكن بالفعل من شق بطن الفرنسي المذكور، لكننا لم نعثر على ما يؤيد ذلك سواء في الرواية الشفهية أو الموثقة، مقابلة سابقة مع المعني.

[77]- نفسه - ص 286

[78]- الراوية العربي ولد يبه

[79]- نفسه - ص 286

[80]- فريرجانه: نقلا عن أحمد ولد اعميره ولد اباه- نفسه- ص 306

[81]- نفسه - ص 286

[82]- أوهم اتيوفانه المجاهدين بموته في محاولة ماكرة للنجاة

[83]- تتحدث بعض المصادر أن المجاهد سيد احمد ولد اعميره ولد اباه هو من غنم مسدس تيوفانه الذي كان يُعتقد أن ملكيته تعود لكوبولاني. وقد سلمه هذا المجاهد سنة 1911 إلى العقيد غورو بعد احتلاله لآدرار، وذلك في إطار الهدنة بين الفرنسيين والمجموعات المحلية.

وحزامه[84]... كان **سيدي** قد أوصى رفاقه أن **"من يشهد أو يسمع بمقتل كوبولاني، فإن عليه أن يصيح بأعلى صوته : مات كوبولاني... مات كوبولاني... وينسحب إلى نقطة التجمع."...**

[84]- **ينقل إلينا الراوية السالك ولد خوكه أن "قبعة كوبولاني وحزامه" ظلا إلى عهد قريب في عهدة ورثة المجاهد اللّ ولد سيدي ولد مولاي الزين في منطقة امحيرث، حيث إن احمود ولد اعليه الذي غنمهما كان قد أهداهما إليه. ومن الواضح أن هذا الراوية كان يعتقد خطأ، على غرار الكثيرين أن هذه المستلزمات تخص كوبولاني، مقابلة سابقة مع المعني.**

الانسحاب إلى نقطة التجمع...

خيِّل إلى المجاهدين أن هذا الأوربي الذي سقط لتوه، هو فعلا قائد البعثة الاستعمارية الفرنسية، وسيد قلعة تجگجه **گزافي كوبولاني**، كان لا بد من إنهاء الهجوم و إعلان الانسحاب... وهكذا صدر الأمر الذي سبق أن حدده القائد الجريح **سيدي ولد مولاي الزين** حرفيا... اعتلى **سيد أحمد ولد اعميره** سور القلعة وصاح بأعلى صوته **:"مات كوبولاني...مات كوبولاني"**[85].

... هكذا بدأ الانسحاب، وشرع المجاهدون في تلمس طريق العودة عبر المدخل الرئيسي... لكن **الّلّ** ما يزال يتمسك بخيط أمل في قدوم والده، وانضمامه إلى جموع المنسحبين... لذلك فقد فضل التريث في الانسحاب... من يدري ربما يكون قد نجا... ناداه بأعلى صوته :**"يا سيدي...يا سيدي..."**، لكنه تذكر فجأة إحدى وصاياه الأخيرة..**"إذا انقطع عنكم صوت تكبيري فاعلموا أنني أصبحت في عداد الشهداء..."**[86]... لا بد أنه قد انتقل إلى جوار ربه ونال أمنيته، وانضم إلى الشهداء والصديقين... لا مناص من تلبية رغبته الأخيرة، وهي الانسحاب إلى نقطة التجمع، هناك في **هضبة كلمسي...**

في هذه الأثناء كان **تيوفانه** الجريح الذي أوهم المجاهدين بموته قد تمكن، بعد جهد جهيد من لمِّ شتات بعض عناصره، مدعوما في ذلك من طرف الرقيب **مارينه Marin** الذي دفعهم بدوره دفعا إلى المواجهة[87]. حاول **تيوفانه** شن هجومه المضاد، فجمع ما تيسر من جنوده، وركب صولته. لكن إطلاق النار غير المنظم، الصادر عن جنوده كان قد استهدف أيضا- عن غير قصد طبعا- الرماة في الجزء الجنوبي الشرقي من المعسكر، بل **"لا شيء ينفي أن يكون أحد الرماة قد قتل على أيدي السودانيين(عناصر تيوفانه)... لقد استهدف هؤلاء غرفة ملازم أول شيري Cheruy، وقد بدت آثار طلقات بندقية لبلْLebel [88] في جوانب الغرفة"**[89]، وكان هؤلاء الرماة في ذات الوقت هدفا لعناصر الإسناد، الذين ما يزالون حتى هذه اللحظة مرابطين في واحة النخيل في انتظار انسحاب بقية المجاهدين[90]... فجأة هبت عاصفة رملية قوية، اجتاحت القلعة وأربكت الفرنسيين وجنودهم[91]، ولم يعد لبنادقهم الأوتوماتيكية أي أثر على ميزان القوى...

مَا فُكْهَمْ البَنِي أولاَ التّشْبَارْ وَابْگ الوَرْوَارْ[92]أدْنَ مْنَ إيدْخِيرْ[93]...

---

[85]- يشير الطالب اخيار ولد الشيخ ماميا في كتابه الآنف الذكر، ص 218 إلى أن سيد احمد ولد اعميره هو من اعتلى السور وأعلن وفاة كوبولاني، لكن بعض الرواة، ومنهم سيد احمد ولد اجيه يؤكدون أن سيد احمد ولد عرگاب هو من قام بذلك.

[86]- الراوية محمد ولد العربي، أحد أحفاد سيدي ولد مولاي الزين، مقابلة مع المعني في تجگجه بتاريخ 05/ 2008/08

[87] -COMMANDANT Louis FRERE JEAN- op cit-P 286

[88]- بندقية فرنسية آلية

[89]- نفسه- ص289

[90]- نفسه- ص 287- 288

[91]- الراوية سيداحمد ولد اجيه، مقابلة سابقة مع المعني.

[92]- سلاح أوتوماتيكي عيار 8 مم، جلبه الفرنسيون أثناء الحقبة الاستعمارية.

[93]- نبتة محلية، ترمز إلى الضعف وانعدام الجدوائية

وهكذا استغل المجاهدون المنسحبون هذه الفوضى في ردة فعل أعدائهم، التي تحولت إلى ما يشبه الاقتتال الداخلي، فقام أوائل المنسحبين على الفور باحتلال المدخل الرئيسي، بعد أن وجهوا رماية إعماء في اتجاه الرماة[94]، واستقبلوا بقية المجاهدين الذين ما يزالون داخل المعسكر، حيث يشتبكون مع عناصر **تيوفانه** في **قتال**[95] **تراجعي بطولي.**

انضم ملازم أول **شيري**، مصحوبا بأربعة من الرماة إلى ملازم أول **تيوفانه** والرقيب **مارينه** للمشاركة في ما بدا أنه **"انتصار مجاني".** ورغم ذلك فقد تمكن المجاهدون من ترتيب انسحاب منظم، تحت وابل من الرصاص[96]، وسلكوا طريق العودة في اتجاه **هضبة گلمسي**...

استمر عناصر الإسناد المتمركزين في الواحة والقرية في تغطية الانسحاب، حتى بعد مغادرة المجاهدين للمعسكر، وذلك من خلال الرد على إطلاق النار العشوائي المتقطع القادم من القلعة، والذي يوحي بأن الفرنسيين أصبحوا فعلا يتخبطون في فوضى كبيرة...

لم تتجاوز مدة الهجوم أكثر من خمس دقائق فقط، لكن المجاهدين **"استطاعوا خلالها تحقيق هدفهم"**[97]، فقد شلت المفاجأة أعصاب وعقول الأعداء، ليجدوا أنفسهم فجأة وجها لوجه أمام رجال من طراز مغاير وغير معهود.

وقد أرجع **فريرجانه** هذا الإرباك الذي أصاب الفرنسيين وجنودهم إلى:**"أننا[يقول فريرجانه] لم نحصل مسبقا على معلومات استخبارية، لندرك أننا بصدد التعامل مع متنورين من عينة مجهولة، مندفعين إلى الموت. إن مثل هذا الهجوم غير المسبوق من طرف الموريتانيين في العمق، وبهذا العدد القليل على هذه النقطة البعيدة، حيث قواتنا في كامل عدتها وتعدادها، مع علمهم المسبق بذلك، كل ذلك يؤكد بدون شك أننا لم نكن بصدد التعامل مع مجموعة عادية..."**[98].

---

[94]- نفسه- ص- 288

[95]- لا تتسع البنادق التقليدية(نوع كشام- لمفرك) التي استخدمها المجاهدون في هذا الهجوم لأكثر من طلقتين اثنتين، يضطر الرامي بعد استخدامهما إلى التوقف عن القتال حتى يعبئ بندقيته بطلقة جديدة. وبسبب هذه الخاصية السلبية، اعتمد المجاهدون تقنية استخدام، تقتضي الإبقاء على إحدى الطلقتين دون استخدامها، في مقابل إعادة تعبئة البندقية بعد كل عملية إطلاق نار. وتمكن هذه التقنية الرامي من التعامل مع حالات المباغتة التي تنجم عادة عن قتال التلاحم أو القتال عن قرب. وقد أمنت هذه التقنية كثافة نارية كبيرة، أذهلت الأعداء وأوهمتهم بكثافة الهجوم وشموليته.

[96]- نفسه- ص- 288

[97]- نفسه- ص- 289

[98]- نفسه- ص- 288

عناق الشهادة...

تعرض المجاهد **سيدي ولد مولاي الزين** لطلقة نارية من مسدس الضابط الفرنسي ملازم أول **تيوفانه**... كانت إصابة مباشرة وعن قرب، لكنها لم تكن قاتلة... لم يقض المجاهد الكبير في الحال حتى أدركه الجنود **"السودانيون" (Les soudanais)** قبل أن يسلم الروح، فتسابقوا إلى الإجهاز عليه بالحراب[99]...ليستشهد[100] على إثر هذا العمل الوحشي الجبان...

... وسقط الشهيد القائد في ساحة المعركة، مقبلا غير مدبر... فاضت روحه الطاهرة بعد أن حقق أمنيته، وقطع **"رأس الثعبان"**... لم يسع هذا الشيخ المؤمن يوما وراء مكسب دنيوي أو مادي، ولم يقد رجاله إلى سمعة أو جاه، كان **فقيها**[101] **صوفيا ووليا زاهدا** في الدنيا وملذاتها، وكان مجتهدا **يحلل ويقدر... ثم يقرر**، ولعل هذه الميزة هي التي شكلت عناصر عصاميته التي دفعته إلى المضي قدما في تنفيذ قرار القضاء على **كوبولاني**، رغم تمنع الظروف وخذلان الناس... كان **قائدا مُلهما، وداعية يحمل قلما وسيفا**... عاش سيدي الصغير[102] ليجسد مثالا في الإيثار والزهد والتقى، ورحل ليترك للأجيال اللاحقة **درسا عظيما في التضحية والحب والشجاعة...**

خلف المجاهدون في ساحة المعركة خمسة شهداء سقطوا في الحال، ونالوا مبتغاهم، وهم:

ـ سيدي الصغير ولد مولاي الزين
ـ أحمد ولد هنون
ـ الكوري ولد اشويخ
ـ محمد ولد لحويرثي
ـ أحمد مولود ولد اميلح
بالإضافة إلى أحمد ولد اعميره ولد اباه الذي تم إعدامه لاحقا بعد محاكمة صورية.

---

[99]ـ الراوية العربي ولد يبه، مقابلة سابقة

[100]ـ تشير المصادر إلى أن المجاهد سيدي ولد مولاي الزين رحل عن عمر يناهز الستين عاما، حيث إنه ولد حوالي العام 1845م.

[101]ـ حرص الشهيد سيدي ولد مولاي الزين خلال حياته على تنظيم رحلات علمية، قصد خلالها أشهر علماء عصره من أمثال الشيخ محمد فاضل ولد الشيخ ماميناه، وقد أخذ عنهم علوم القرآن والفقه، ليستقر به المقام أخيرا في منطقة امحيرث في آدرار، وهناك أسس مكتبة زاخرة وأقام مسجدا يؤمه الناس.

[102]ـ اشتهر سيدي ولد مولاي الزين بهذا الاسم تمييزا له عن عمه سيدي الكبير.

أما الجرحى فكانوا خمسة، هم:

ـ السالك ولد الدد ولد البطاح
ـ أحمود ولد اعليه
ـ الّلّ ولد سيدي ولد مولاي الزين
ـ الجاش ولد البطاح
ـ سيد احمد ولد اعميره

بلغت الخسائر في صفوف العدو **أربعة جنود قتلى، وأحد عشر جريحا** من بينهم ملازم أول **تيوفانه،** الذي ضربه **سيدي** بسيفه[103]، لكن خسارة الفرنسيين الحقيقية كانت في فقدانهم **"لحاميهم"** وسيدهم، المنظر الكبير للتوغل الاستعماري في موريتانيا... من كانوا جنودا لأفكاره ذات يوم[104]...**الأمين العام لبعثة تگانت ـ آدرار**... لفظ **كوبولاني** أنفاسه الأخيرة بين يدي صديقه **أرنو،** بعد ثلاثين دقيقة فقط من إصابته[105]، **وبعد أن اطمأن إلى أن أي أوربي آخر لم يكن من بين الموتى في هذه المواجهة**[106]...!!

دارت أحداث هذه المعركة الخاطفة في الجزء الشمالي والشمالي الشرقي والشمالي الغربي من المعسكر **وفي قطر دائري لا يتجاوز الثلاثين مترا**. وتعرضت القلعة خلالها لإطلاق النار من جميع الجهات باستثناء الجنوب حيث **گوم(جنود) فريرجانه،** والغرب حيث **الگوم(الجنود) "الجزائريون".** ورغم ضراوة القتال وشدة الاشتباك، لم يتمكن **فريرجانه** ولا **الجنود "الجزائريون"** من مد يد المساعدة والإسناد إلى الرماة وجنود **تيوفانه،** الذين تعرضوا لثقل الهجوم[107]، ولم يكن بوسعهم إلا انتظار ما سيسفر عنه القتال الدائر على بعد بضعة أمتار، خلف ظهورهم....!!

لقد كشفت هذه العملية عن **اختلالات عميقة في الخطة الدفاعية الفرنسية،** إذ لم يكن بوسع أي فصيل إسناد فصيل آخر، بسبب افتقار الحامية إلى **قوة احتياط تكتيكي** قادرة على الحركة والهجوم المضاد[108]...**لقد نسي أحفاد نابليون خلال هذا النزال فكرة المناورة، وفقدوا روح المغامرة واختاروا التخندق والجمود**. وربما يكون المجاهدون، الذين برهنت أحداث المعركة ومساراتها على خبرتهم القتالية، قد أخذوا هذه الحقيقة بعين الاعتبار عند وضعهم لخطة الهجوم، فقد اختاروا **"المدخل الرئيسي غير المحروس"** والسور الصغير الشمالي الغربي الذي **"ينام تحته جنود اتيوفانه"،** كنقطتي اقتحام...

---

[103]ـ نفسه ص 288
[104]ـ نفسه- ص 296
[105]ـ نفسه- ص 288
[106]ـ نفسه- ص 290
[107]ـ نفسه- ص 288
[108]ـ نفسه- ص 288

شهود المعركة

قبل الحديث عن الأحداث المفجعة اللاحقة، سوف نفسح المجال أمام شهود هذه المعركة من رفاق **كوبولاني** الذين حضروا لحظاته الأخيرة، لينقلوا لنا بأنفسهم حيثيات وفاته و وقائع تلك الليلة الليلاء...

كتب **الرائد لويس فريرجانه** الذي خلف **كوبولاني** على رأس البعثة الاستعمارية الفرنسية، وكان حينها مكلفا بحراسة السور الجنوبي الغربي، كتب قائلا **:"نهض كوبولاني من على الطاولة التي كان يجالس عليها ندماءه، وكان متدثرا في ثياب بيضاء من رأسه إلى قدميه. أسند ذراعيه على الحائط الكائن يسار باب الدخول، أمام مقر إقامته، ليتأمل القرية الواقعة على مرمى البصر ويستغرق في تفكير عميق... كانت الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة و كان الحارس، كعادته في كل يوم يراقب أشجار النخيل المتناثرة بين القلعة والمدينة... نادى الحارس خادم كبلاني لجلب اللبن، وبعد لحظات، رأى عددا من الرجال المسلحين يبرزون من النخيل ويركضون بسرعة نحو باب المعسكر، وآخرين يركضون نحو مطبخ كبلاني، فما كان منه إلا أن أطلق إنذاره محذرا، ولما لم يستجيبوا له أطلق النار عليهم، وانسحب إلى الخلف نحو جدار القلعة وتسلقه.**

وصل أوائل المهاجمين إلى المطبخ وأطلقوا النار على الطباخ، لكنهم أخطأوه... ومن مكانه، حيث كان مستندا نادى كوبولاني خادمه بصوت مرتفع قائلا :" ناولني مسدسي يا ديالو...". ولما لم يستجب له الخادم على الفور، نفد صبره وتوجه إلى مقر إقامته... في هذه الأثناء، وعلى بعد عشر خطوات فقط تلقى كوبولاني طلقة نارية على يد مهاجمين برزوا له من ممر المدخل. حاول لملمة جراحه واختفى في غرفته، عندها ارتفع الصراخ و دوي طلقات البنادق في كل أرجاء المعسكر.

تسارع المهاجمون نحو مقر إقامة كوبولاني، وتبعه بعضهم إلى غرفته وأطلقوا النار داخل الغرفة، وهكذا توسعت دائرة الاشتباك وتحول المعسكر إلى ساحة معركة حقيقية. في هذه الأثناء تسلق جزء من المهاجمين جدار الحائط.. فوجئ السودانيون من مجموعة تيوفانه، الذين خلدوا إلى النوم لتوهم بهؤلاء المهاجمين الذين يصيحون ويطلقون النار في كل اتجاه.

ارتمى هؤلاء الجنود، الذين كان أداؤهم ضعيفا خلال حملة "بوگادوم"الأخيرة إلى الوراء في فوضى وارتباك، وتراجعوا حتى الزاوية الشمالية للمعسكر، حيث أرغمهم الرقيب "مرانه" على المواجهة...

اندفع أفراد المجموعة الأخرى عبر المدخل الرئيسي وهم يرددون:"الله أكبر..الله أكبر"، ويطلقون النار في نفس الوقت على مقر طبيب الحامية، ولحسن الحظ لم يبرح مكانه، ثم توجهوا إلى غرفة "كولمباني" الذي ارتمى بشجاعة وسطهم، محاولا شق طريقه نحو مقر إقامة كوبولاني من أجل إنذاره.

كان المهاجمون في حالة تدافع وازدحام لدرجة أنهم لم يتمكنوا من تصويب فوهات بنادقهم نحو "كولمباني". وهكذا تمكن من اختراقهم والتخلص منهم باللكمات، ليطلق

ساقيه للريح وسط وابل من الرصاص، أطلقه في آن واحد المهاجمون والرماة الذين وجهوا أسلحتهم باتجاه مقر ملازم أول شيري إلى اليسار من الإقامة... في هذه اللحظة بالذات تلقى كوبولاني الضربة القاضية...
وفي الوقت الذي كان فيه بعض المهاجمين يتبعون كوبولاني إلى مقر إقامته، كان القسم ألاكبر منهم يواجه نيران الرماة... ارتمى أوائل المهاجمين الذين أطلقوا النار على مقر الإقامة خلفها باتجاه باطن الكثيب الذي ينحدر إلى داخل المعسكر، ما بين مقر الإقامة وخيمة الترجمان.
كنت حينها نائما هنا، في هذا المكان كما هي العادة، استيقظت فجأة بفعل دوي الطلقات الأولى، وكنت غير مدرك لما يحدث حولي. اعتقدت أن الأمر يتعلق باستنفار زائف، في هذه الأثناء نهضت، متقلدا سلاحي وحاولت للحظة معرفة ما يجري من حولي.
ظهر ولد ابن المقداد، وكان يمر متجاوزا الكثيب بسرعة، خاطبني قائلا :"إنه هجوم، وأنا ذاهب إلى مركزي حيث كوبولاني!". بعد ذلك بلحظات حجب الغبار عني رؤية ولد ابن المقداد بفعل طلقات نارية سقطت بيني وبينه. بدا كما لو أن كل شيء قد حدث بسرعة.
قفزت بسرعة إلى مركزي، فقد أدركت أن المهاجمين، الذين أصبحوا يرمون بالقرب مني سوف يصلون لا محالة إلى حيث وصلت رمايتهم. لقد كنت محظوظا جدا بفضل نوعية ثوبي(بازينه)، الذي جعلني أبدو كواحد من المهاجمين، وهكذا نجوت بجلدي. فجأة اتجه المهاجمون يسارا لصد الرماة، وتمكنوا من قتل الرامي الذي كان مكلفا بحراسة غرفة ملازم أول شيري.
كان عناصري في مراكزهم، وكانوا في حالة اضطراب تام بسبب هذه الأحداث وتداعياتها خلف ظهورهم، ولكنهم لم يتعرضوا لإطلاق النار من خارج الثكنة...
كنت أجهل تماما ما يحدث في الزوايا الأخرى للقلعة، لكنني شاهدت المهاجمين، وكنت أعلم أن الاشتباك قائم في كل مكان تقريبا. ومن موقعي المطل على المعسكر، لاحظت في الزاوية الأخرى"جزائريين" يطلقون صليات على واحة النخيل الواقعة في الجهة الشمالية الغربية، حيث صدر إطلاق نار من بعض العناصر المعادية.
احترست مع عناصري وراء الحائط الصغير الكائن أمامنا، و كنا في حالة ترقب. انتدبت عند وصولي عريفا أسود يجيد الفرنسية كعنصر ارتباط لدى كوبولاني الذي لم أعلم حتى الآن أنه مصاب. وبما أنني لم ألاحظ عودة هذا العنصر، اعتقدت أنه لم يكن هناك ما يريد كوبولاني أن يأمرني به. ونظرا إلى أن مجموعتي لم تتعرض للهجوم من الخارج، بعثت حارسين إلى واحة النخيل المقابلة لقطاعي، بعد ذلك بقليل صاح الحارسان:"قف مكانك"،، فأجابهم شخص باللغة البنبارية، إنه أحد "السودانيين" من مجموعة تيوفانه قادم من المدينة، استيقظ لتوهه على دوي البنادق. أرسلت البشير هاروني لاستقباله وإيصاله إلى قائده، وكلفت هاروني بجمع المعلومات... بعد لحظات عاد إلي، وقال لي بصوت مكتوم:"أيها النقيب، لقد أصيب الأمين العام (كوبولاني) بجرح قاتل..."[109].

[109]- نفسه- ص ص 285- 286- 287

أما **الإداري روبير آرنو**[110] **Robert Arnaud**، صديق **كوبولاني** الذي بكاه كثيرا عند وفاته، فقد كتب عن حيثيات مقتله قائلا:**"قبل الهجوم بلحظات، كان كوبولاني ممدا على كرسي كبير، مستغرقا في تفكير عميق. خاطب النقيب جرار قائلا :"كم هو مزعج عدم استمرارنا في الزحف نحو آدرار"، ثم نهض وقال :"يا جرار، أنا ذاهب لأنام".**

ولكن، بدلا من أن يدخل إلى خيمته التي ينام فيها، ذهب ليستنشق الهواء النقي، واسند ظهره إلى الحائط الواقع إلى اليسار من باب المعسكر قرب المطبخ.

في هذه الأثناء، فوجئ كوبولاني بحركة غير عادية في الخارج، فصاح :"ناولني مسدسي يا ديالو..."، وهكذا انطلقت عدة عيارات نارية. داهمت مجموعة تقدر بخمسة إلى ستة مسلحين من الموريتانيين، مزودين ببنادق تقليدية ذات طلقتين الممر المغطى غير المحروس، الذي يعتبر المدخل الرئيسي للمعسكر، في حين وثب ما يناهز خمسة عشر آخرون من فوق السور الشمالي الصغير، الذي ينام على امتداده جنود ملازم أول تيوفانه... في تلك اللحظة، وجدت صديقي القديم وقد أصيب بجرح قاتل على عتبة داره، وجدت كوبولاني مستندا إلى إطار الباب. نظر إلي لحظة وقال لي بصوت ضعيف ولكنه هادئ:"آرنو أنا ميت، لقد قتلني البؤساء...". لاحظت عندها أن الدماء تسيل بغزارة على ملابسه البيضاء... توجهت فورا للبحث عن طبيب البعثة... نقلناه إلى غرفته عند مركز حراسة المدخل بالقرب من غرفة "كولمباني"، حيث تم تضميد جراحه، لكننا لم نتغلب على الجراح الكثيرة بسبب الإصابات العديدة التي تعرض لها جسمه... عدنا به إلى غرفة الطعام، حيث مددناه مجددا على الحصير... لم يفقد وعيه بعد، وما زال صابرا وصامتا. خلعنا ملابسه بمقص، وتركناه عاريا والدم يسيل بغزارة من جرحيه، كان أحدهما أسفل ثديه الأيسر والآخر وسط جوفه...

تم سبر الطعنة اليسرى، وقد لاحظنا عندما حاولنا رفعه قليلا وجود بقعة من الدماء تحته، وقد أخبرني الطبيب أن اختراق الرصاص الذي أصابه في جوفه قد مزق ظهره... لقد أطلق عليه الرصاص عن قرب."[111].

---

[110]- **سبق للإداري روبير آرنو أن عمل مساعدا لكوبولاني أثناء مساعيه لتسويق الحماية الفرنسية في منطقة السودان الفرنسي (مالي يحاليا)**

[111]- **الطالب اخيار ولد الشيخ ماميناـ الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربيـ مرجع سابقـ ص ص 221-222**

وإذا كانت تلك هي الرواية الفرنسية الموثقة، فإن رواية **المجاهد محمد ولد الصفره** التي نقلها عنه الباحث **محمد سعيد ولد همدي** سنة 1978، لا تختلف كثيرا في جوهرها عن ما ورد آنفا.

قال ولد الصفره:**"(...) كنا في آخر الشتاء، وسمعت أن شريفا يكتتب المتطوعين لقتال النصارى القادمين من الگبله لاحتلال تگانت، وتهديد آدرار. قررت الانضمام إلى الجماعة، وكانوا زهاء ثلاثين رجلا، أذكر منهم الشريف ولد مولاي الزين، سيدي الصغير وأخويه وعشرين من أهل التناكي، وأنا واثنين أو ثلاثة من أقربائي الذين انضموا إلينا بعد أن أقنعتهم، وكانت الفرقة من الشبان الذين يثيرون الدهشة بفتوتهم وشجاعتهم...**

أخذنا طريق تگانت دون أن ندري هل سنتجه إلى تجگجه أم إلى مكان آخر في الجنوب، وبعد يومين أو ثلاثة من السير (الله وحده أعلم) التقينا بولد بوبيط، فأعطانا معلومات إضافية نفيسة.

ذكر لنا ولد بوبيط أن تجگجه تم احتلالها، وأن بكار رحمه الله قد اغتاله الفرنسيون في بوگادوم، فامتلأنا غيظا، ودعونا إلى الأخذ بالثأر.

وعلى بعد يوم من تجگجه، توصلنا إلى معلومات أخرى أكثر دقة بخصوص مكان وجود كوبولاني والعادات اليومية للمعسكر وعدد أعدائنا... إلخ.

وصلنا إلى ضواحي"لكصر"(المدينة) يوم 12 مايو بعد الظهر، وقد انتظرنا حتى نتسلل مع أولائك الذين يحملون اللبن في المساء.

وقد عين عشرون منا لشن الهجوم، وكانت المهام محددة:

فسيدي وسيد احمد ولد اعميره وأنا نفسي كلفنا بمهمة الهجوم على كوبولاني في كوخه، وقد تسللت جميع العناصر المهاجمة عندما أرخى الليل سدوله وبشكل مباغت نحو المعسكر. كبر سيدي ولد مولاي الزين ثلاث مرات، قبل أن نبدأ في تنفيذ العملية مما قلل من شأن عنصر المباغتة، وقد أمكننا مع ذلك الوصول إلى محل كوبولاني جريا، فضربه سيدي بسيفه فأطلق كوبولاني عليه النار من مسدس كان عنده فأرداه قتيلا، فأطلقت أنا وسيدي أحمد النار على كتلة كوبولاني الضخمة التي تخيلناها في الظلام.

ما زلت أتذكر منظر ذلك الدم الساخن الذي يتدفق منه بقوة، والذي أصاب جسدي وثيابي. لم يخطئ سيد أحمد الرصاصة التي صوبها إلى كوبولاني، أما الرصاصة التي أطلقتها أنا عليه فقد تأخرت قليلا عن رصاصة سيد احمد وأعتقد أنها أجهزت عليه...

وبعد انتهاء مهمتنا، رجعنا إلى المكان الذي تواعدنا عنده آخذين طرقا مختلفة، ومن هنا رجع الذين بقوا منا على قيد الحياة إلى آدرار."[112].

---

[112]- **محمد سعيد ولد همدي- موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوربا- مرجع سابق، ص ص 145-146-147**

وتؤكد شهادة **محمد ولد الصفرة** أن الخلط ظل قائما لدى المجاهدين بين **كوبولاني** و**تيوفانه**، ذلك أن جميع الشهادات تؤكد أن **كوبولاني** لم يكن مسلحا بالمرة، كما تؤكد هذه الشهادة أن **تيوفانه** لم يقض على **سيدي ولد مولاي الزين** بسيفه كما تذهب إلى ذلك رواية **فريرجانه**[113].

[113] **-COMMANDANT Louis FRERE JEAN- op cit-P 287**

الفرنسيون ... يبحثون عن الانتقام

خلف المجاهدون وراءهم، مساء الثاني عشر من شهر مايو عام 1905 **حامية عسكرية تنزف، وتلعق جراحها، وجنودا في حالة ذهول وصدمة**... اختلطت أوراق الأعداء وانهار نظامهم الأمني، وعمت الفوضى أرجاء المعسكر[114]... كان النقيب **فريرجانه** هو **القائد العسكري الجديد، الذي أفرزته أحداث المعركة، وصدف الحرب**[115]، فهو الضابط الأعلى رتبة، والأقدم من بين ضباط الحامية[116]. وهكذا استولى على القيادة العسكرية والإدارية في آن واحد[117]، واجترح لنفسه لقب **"القائد المؤقت لبعثة تگانت- آدرار"**[118].

حاول **فريرجانه** تجسيد ذلك الشعور الطاغي لدى الفرنسيين وجنودهم بضرورة **الانتقام العاجل والقاسي من كل من تربطه علاقة بالمجاهدين**، أو يثبت تقديمه لأي نوع من أنواع الدعم أو التسهيلات لهم. كان مقاتلا، نجا لتوه من موت محقق[119]، ولم يكن إداريا ولا سياسيا، لذلك فقد سعى جاهدا إلى الانتقام الشخصي، **وانتشال معنويات جنوده التي أصبحت في الحضيض، بعد أن أصابها المجاهدون في الصميم.**

بدأ قائد البعثة الجديد انتقامه بعمل همجي، يتعارض مع أبسط القيم الإنسانية، **ويشكل خرقا لقوانين الحرب**... فقد أفرغ جذوة غضبه في **المجاهد أحمد ولد اميلح** عندما أجهز عليه، وهو يحاول اللحاق برفاقه، بعد أن سقط جريحا على مشارف واحة النخيل[120].

---

[114]- **نفسه- ص 294**

[115]- **نفسه- ص 294**

[116]- **نفسه- ص 287**

[117]- **كانت بعثة تگانت- آدرار بعثة إدارية أصلا، ولم يحصل فريرجانه على ولاء الجميع، عندما تولى القيادة تحت ضغط المستجدات الأمنية، وإمكانية تعرض المعسكر لهجمات أخرى. فقد ظهر خلاف بهذا الشأن لاحقا في تقرير لأحد الموظفين المدنيين، حيث ادعى هذا المدني أحقيته بقيادة البعثة لكونه الأعلى رتبة من بين المدنيين المتواجدين في تجگجه صبيحة اليوم الموالي لوفاة كوبولاني- نفسه- ص 294**

[118]- **نفسه- ص 294**

[119]- **كان فريرجانه قد نجا للتو من موت محقق بعد أن تعرض لوابل من إطلاق النار في المكان الذي كان نائما فيه، إلا أنه نهض بسرعة واختلط بالمجاهدين الذين لم يتمكنوا من اكتشافه لأنه كان حينها يلبس الزي الوطني "الدراعه"- نفسه- ص 286**

[120]- **الطالب اخيار ولد الشيخ ماميناـ الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي- مرجع سابق- ص 218**

أصدر **فريرجانه** في الحال أوامره باعتقال وإحضار كل من يتم ضبطه حول القلعة، كما قام بعملية مسح على مسافة خمسمائة متر في جميع الاتجاهات[121].
كان يهدف من وراء ذلك إلى التأكد من عدم وجود مهاجمين آخرين، يخبئهم ظلام هذه الليلة الليلاء[122]،لأنه، وهو الذي خبر أساليب قتال المقاومين خشي أن يكون **الهجوم على نقطة معينة من المعسكر هو فقط لأغراض الإشغال والتضليل عن نقطة الهجوم الرئيسية،** التي سوف يستهدفها ثقل الهجوم. لذلك كان عليه أن يبدأ في الحال بتعزيز دفاعات القطاعات الأخرى التي لم تتعرض للهجوم[123]، كما قام بوضع مركز حراسة متقدم داخل واحة النخيل، في الجهة الشمالية الغربية[124].

بلغ عدد المعتقلين قرابة الخمسين[125] من الرجال والنساء، و من مختلف الأعمار[126]، وحشر الجميع في ركن من أركان القلعة في انتظار المجهول...!!؟؟
لكن **فريرجانه** لن يتمكن من استجواب هؤلاء في الحال، لأن أصوات طلقات **بندقية لَبلْ** قد حملت معها نبأ اشتباكات حصلت للتو، بين المجاهدين وبعض الجنود الفرنسيين في الواحات القريبة من المعسكر.

كانت فرصة لاستخدام الرشاش **Mitrailleuse (بوتاسارت)**، وهو **"سلاح الردع"** الفرنسي، الذي أسكته المجاهدون خلال المواجهات الأخيرة، بفضل عنصر المباغتة الذي **فرض على الفرنسيين خيار القتال عن قرب، وشل أسلحتهم الأوتوماتيكية**.
أمر **فريرجانه** بتنفيذ رمايات عشوائية في اتجاه المجاهدين[127]. كان مجرد استعراض للعضلات، ولم يسع من ورائه إلى مكاسب ميدانية آنية. لقد أراد في حقيقة الأمر **تحميل دوي هذه الرشاشات رسالة إلى المجاهدين، ومن ورائهم المقاومة الوطنية، مفادها أن لدى الفرنسيين سلاحا فتاكا وغير مسبوق، و لا قبل لهم به**.
أسفرت هذه الصليات المتتالية والمكثفة، رغم عشوائيتها عن إصابة اثنين من المجاهدين، عندما كانا بصدد إعادة تعبئة بندقيتيهما في إحدى الواحات القريبة من المعسكر[128]، حيث تلقى أحدهما على إثر هذه الرماية **أربع عشرة رصاصة،** في حين تلقى الآخر **خمس رصاصات**[129]، لكنهما تمكنا من مواصلة السير على طريق العودة في اتجاه **امحيرث،** رغم جراحهما الثخينة[130].

---

[121]-COMMANDANT Louis FRERE JEAN- op cit-P 289

[122]- نفسه- ص 289

[123]- نفسه- ص 288

[124]- نفسه- ص 290

[125]- يشير الراوية سيدي ولد محمداحيد ولد سيدي عبد الله إلى أن عدد المعتقلين كان كبيرا وقد وضعوا في الأصفاد، وكان من بينهم أعيان المدينة، مقابلة سابقة مع المعني.

[126]- نفسه- ص 290

[127]- نفسه - ص 290

[128]- الراوية السالك ولد خوكه، مقابلة سابقة

[129]- نفسه- ص 311

[130]- يشير فريرجانه إلى أن هذين الجريحيْن قد توفيا أثناء الطريق وهو ما يرفع عدد الشهداء إلى ثمانية حسب الرواية الفرنسية، لكن مصادر المجاهدين تؤكد أنهما تمكنا بالفعل من الوصول لاحقا إلى امحيرث سالميْن.

نجح المجاهدون إذن في تنظيم الانسحاب الذي أرادوه، وبالطريقة التي خططوا لها سلفا[131]، **وبذلك أنهوا معركتهم التي اختاروا زمانها ومكانها ونوعيتها...**

... خفتت أصوات البنادق، وغشي قلعة تجگجه ظلام آخر من الكآبة والحسرة، بل والخوف الشديد من ما هو قادم... كانت الساعة في حدود منتصف الليل، وكان الوقت يمضي بطيئا، مثقلا بالأحزان... لم يجد النوم طريقه إلى الجفون، فتجمع الكل فوق قمة الربوة، يتشاطرون مرارة المأساة، ويواسي بعضهم بعضا[132]... لقد رحل "حامي الحمى"... لقد مات كوبولاني...!!؟؟

[131]- الراوية سيداحمد ولد اجيه، مقابلة سابقة
[132]- نفسه- ص 290

تعسف و اضطهاد... وفنون من العذاب

قبيل الفجر، كان الجميع في مواقع القتال... انطلقت الدوريات في اتجاه المدينة لجلب مشتبهيْن، هما **سيدي ولد الزين وعبدي ولد امبارك**، اللذيْن كان الحارس المتحرك[133] قد أبلغ عنهما، وادعى-على لسان **فريرجانه**- أنهما تعمدا إشغاله عن حراسته قبيل الهجوم بلحظات[134]، لكن هذه التهمة سوف تنسحب لاحقا على جميع سكان تجگجه، لأن الرماة زعموا أن إطلاق نار كان قد استهدفهم، انطلاقا من بعض المنازل المجاورة في المدينة[135].

وبالإضافة إلى هاتين "الشهادتين"، فقد تأكدت شكوك **فريرجانه** حول وجود متعاونين محتملين مع المجاهدين، بل إنهم قد يكونون من ضمن أفراد الحامية، عندما اكتشف صبيحة ذلك اليوم أن الوثائق التي جمعها من **بوگادوم**، خلال العملية التي استشهد فيها **المجاهد الكبير بكار ولد اسويد** احمد قبل شهر قد اختفت[136].

وتعززت شكوكه أكثر حول سكان المدينة، عندما علم بأن إحدى المجموعات المحلية كانت قد تعمدت عدم الإبلاغ عن المجاهدين الذين مروا من مضاربها، في طريقهم إلى القلعة لتنفيذ الهجوم[137].

لقد كان الغضب شديدا والعدائية مستشرية، حتى ضد أولئك المتعاونين مع الفرنسيين، لأن قناعة كانت قد تشكلت لدى الجنود الفرنسيين وأعوانهم، مفادها أن جميع الموريتانيين متورطون، لسبب "وجيه" وهو أن من نفذوا الهجوم هم من الموريتانيين[138]...!!

في هذه اللحظة المشحونة بالكراهية والحقد، استُقدمت المجموعة "المشبوهة"، التي جمعتها الدوريات خلال الليلة البارحة وصباح اليوم أثناء عملية المسح. كانت **"آثار الضرب المبرح بادية على كل شخص... كان أي تبرم أو رد فعل غير مناسب، تتم معالجته بضربة قوية من أخمص البندقية... لقد كانوا في حالة من الرعب الشديد وعرضة لشتى صنوف التجريح والألفاظ النابية والتهديدات. لقد اهتم ملازم أول الذي أصيب الليلة البارحة[يقصد تيوفانه]، والذي يعاني من آثار الحمى بسيدي ولد الزين، حيث أرهبه، وكان يوجه إليه باستمرار سيلا من الشتائم المقذعة والمبتذلة باللغة العربية... لقد تلقى هذا الرجل نصيب الأسد من الإهانات..."**[139].

---

[133]- أشرنا في بداية البحث إلى أن الكثير من الرواة يؤكد أن المجاهدين قضوا في بداية الهجوم على الحارس المذكور بالسلاح الأبيض، تفاديا لإحداث دوي أوضحة قد تشكل إنذارا مبكرا للفرنسيين.

[134]- نفسه- ص 290

[135]- نفسه - ص 290

[136]- نفسه - ص 293

[137]- نفسه - ص 290

[138]- نفسه - ص 291

[139]- نفسه - ص 291

لم تقتصر جرعات التعذيب والتنكيل على هذا القدر، فقد كان لقائد البعثة الجديد اجتهاده هو الآخر في هذا المجال، حيث أمر **"بشدهما[أي المشتبهيْن المذكوريْن] إلى أعمدة البهو الأمامي من مقر الإقامة... سقط سيدي ولد الزين على قاعدة العمود [نعتذر للقارئ الكريم عن النقل الحرفي لكل ما أورده النقيب فريرجانه في وصفه للحالة المزرية و اللاإنسانية للسيديْن سيدي ولد الزين وعبدي ولد امبارك، والتي تشكل في حد ذاتها دليلا تاريخيا موثقا، يدين المرحلة الاستعمارية برمتها، فقد أفاض هذا الضابط في الحديث عن حالتهما، مستخدما عبارات مبتذلة وساقطة، وقدم وصفا مهينا لحالة المعنيّيْن، ونكتفي بإحالة القارئ إلى الصفحة291 من كتاب فريرجانه الذي سبقت الإشارة إليه]..."**[140].

سعى **فريرجانه** دون جدوى إلى إيجاد خيط، يربط أحد المشتبه بهم بأحداث الليلة البارحة، ويسلط الضوء على دوافع الهجوم، لكن المستجوبين كانوا شحيحين في إعطاء معلومات تشفي غليل الرجل، وتلبي رغبته في تكوين فكرة أولية عن ما جرى[141].

أرسل قائد البعثة الجديد صبيحة اليوم الموالي للعملية برقية مستعجلة إلى دكار، أبلغ فيها الحكومة الفرنسية بتفاصيل الأحداث الدامية التي شهدتها قلعة تجگجه مساء الثاني عشر من مايو[142]... كان عليه انتظار رد الحكومة، وكان يدرك بخبرته العسكرية الخطورة المحتملة وراء القيام **بعملية مطاردة كبيرة، لتعقب عدو شبح، مجهول العدد والعدة، اختفى مثلما ظهر في بحر من الرمال المتحركة**... لم يكن أمامه إلا التفكير في الطريقة التي سوف يواري بها أحزانه، و يدفن بها قتلاه، وعلى رأسهم **"الفقيد الكبير" كوبولاني...**

---

[140]- نفسه - ص 291
[141]- نفسه - ص 291
[142]- نفسه - ص 292

فسحة للحزن والبكاء...

تطوع ملازم أول **لافوكيونه Lavauguion** وضباط الصف "الأوربيين" لتولي عملية الغسل الأخيرة **لكوبولاني**... كان هؤلاء الجنود قد اجتهدوا في صنع تابوت خشبي كبير، سيحتضن جثة **كوبولاني** الضخمة... **لكن الألم كان يعتصر قلوبهم عند كل حركة أو فعل يؤدونه، أثناء قيامهم بهذه الخدمة الأخيرة التي يسدونها باندفاع وحسرة لقائدهم الذي فقدوه للتو...**

...وعلى تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر الثالث عشر من مايو 1905، كان كل شيء قد أصبح جاهزا للبدء في ترتيبات تشييع جثمان الأمين العام لبعثة تگانت- آدرار...

... وحُفر القبر في باطن الكثيب...

اجتمعت الوحدات العسكرية بكامل عدتها على شكل مربعات حول الضريح... وسجي الجثمان ملفوفا بالعلم الفرنسي على قمة الربوة... وأصدر النقيب فريرجانه أمره لتأدية آخر تحية شرف لسيد قلعة تجگجه... ساد المكان صمت رهيب، وأصغى الجميع إلى ذلك اللحن الجنائزي المكتوم، "بكى كل الأوربيين والكثير من "الجزائريين" ...وبعض الأفارقة...فنحن[يقول فريرجانه] كنا بصدد دفن

حامينا"[143]

قبر منظر الحملة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا كزافيي كبلاني. وقد تم حفره وسط القلعة

ويضيف:"... صعدت الغصة إلى حلقي، فقد كان لي الشرف الصعب لأقول آخر كلمة وداع لقائدنا... تمكنت بصعوبة من التلفظ ببعض الكلمات المكتومة والمحطمة. أما آرنو، صديق الفقيد فقد بكاه بحرارة، كان منظر هذا الرجل الملتحي، القوي، المنهار، وهو يحاول أن يكفكف دموعه دون جدوى يلخص موقفا مؤثرا جدا، لا يمكن تلخيصه في بضع كلمات... أشرت إليه :"إليك الكلام"، فأجابني بصوت مبهم، أنه لا يستطيع أن يتلفظ بأية كلمة... أعلنت في جملتي الوحيدة والمختصرة والمتقطعة أننا سوف ننتقم لقتلانا، إذ لم يكن هناك ما هو أكثر تقبلا بالنسبة لعناصرنا من إعطائهم الأمل في انتقام قريب..."[144] ".

139- نفسه- ص 293

144- نفسه- ص ص :293-294

كانت لحظة تقطر ألما... ندبٌ ولطمٌ ومشاعر محطمة، وانهيار معنوي مدمر، بل وخوف كبير من ما هو قادم...

...واختتمت تظاهرة الحزن والأسى ، ووري الجثمان الثرى...

الشهيد الحي...

كان **فريرجانه** قد بعث، منذ الصباح الباكر بزمرة مكونة من قرابة الأربعين عنصرا في اتجاه المناطق الشمالية القريبة للتأكد من خلو تلك الجهة من أي عدو محتمل، وقد رجع هؤلاء بعد غروب الشمس بخفي حنين، لكنهم **عادوا بقناعة عززت حالة الخوف والترقب، وهي أن المجاهدين الذين هاجموا المعسكر كانوا أكثر بكثير من ما يعتقد أنه عددهم الفعلي**[145] **...!!**

استمرت حالة الترقب والحذر، رغم تطبيق إجراءات الأمان المستحدثة والتي كان من أهمها تشكيل قوة احتياط للمناورة والحركة.

وفي مساء الخامس عشر من مايو، التقى صدفة في مدينة تجگجه أحد أعوان الفرنسيين، وهو المدعو **بن حامدا محمد** رجلا قادما لتوه من قرية **الرشيد** المجاورة. أفاد هذا الرجل بوجود أحد الجرحى، من منفذي عملية تجگجه في الرشيد...

كان **المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه** قد قرر، بالاتفاق مع مضيفيه في الرشيد تسليم نفسه إلى الفرنسيين عن طريق الإبلاغ عنه، **خوفا على سكان القرية من أي أذى قد يلحقهم، ومن أجل وضع حد للاضطهاد الذي مارسه فريرجانه في حق سكان تجگجه**[146]... كان يعلم أن إصابته بالغة، وأنه **أصبح على موعد قريب مع الشهادة**، لذلك فلن يضيره أن يقع بين أيدي الفرنسيين...

انتدب **فريرجانه** صباح اليوم الموالي، السادس عشر من مايو دورية محمولة من عشرين عنصرا، مكلفة بجلب الجريح المذكور واستطلاع ضواحي قرية الرشيد[147].

عادت الدورية زوال السابع عشر من مايو عند الساعة الثانية عشر، وقد جلبت معها الجريح **أحمد ولد اعميره ولد اباه**... كان المجاهد مصابا بجرح بالغ في الجزء الأيسر من الصدر، فوق الذراع، وهو ما أدى إلى ظهور تقرحات شديدة **(غنغرينه)**. وكانت الإصابة نتيجة تلقيه طلقة من بندقية **"لبل"**، حيث تحطمت العظام في منطقة الإصابة. **وكانت الذراع مثبتة بواسطة أربطة من القصب و تلفها أربطة جلدية، وقد أكد الطبيب بعد المعاينة أن**

---

[145]- نفسه- ص 298

[146]- أورد الراوية محمد ولد العربي شهادة حول هذا الموضوع لا تختلف كثيرا في جوهرها عن ما أوردته الرواية الفرنسية، مع بعض الاختلافات في التفاصيل. فقد أفاد هذا الراوية أن ركبا من أعيان مدينة الرشيد بقيادة الشيخ محمد المختار ولد الحامد كان قد التقى صدفة بالمجاهد الجريح، وهو في طريقه إلى الرشيد، وكان يزحف على بطنه بسبب إصابته، فعلموا أنه من المجاهدين الذين أغاروا على الفرنسيين. وقد أخبروه أن أعيان المدينة كلهم قد وضعوا في الأصفاد ويتعرضون لشتى صنوف التعذيب والإهانة، لأن "النصارى" يعتقدون أن الهجوم كان من تدبير أهل المدينة... فما كان من المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه إلا أن طلب من الركب المذكور حمله إلى تجگجه وتسليمه إلى الفرنسيين حتى ينقذ سكان تجگجه، مع علمه المسبق بطبيعة العقاب الذي ينتظره...!!
مقابلة سابقة مع المعني.

[147]- نفسه- ص 301

الجريح ميت لا محالة... بدا المجاهد الجريح ثابت النظر، رابط الجأش، بل و راضيا كل الرضا عن مصيره الذي سعى إليه[148]**...!!**

خاطب المجاهد مستجوبيه قائلا:**"إنه لا علاقة لأهل تجگجه بهذه العملية، بل لا علم لهم بها على الإطلاق".**

كان هذا التصريح فاتحة خير للبعض من الموقوفين، فقد عمد **فريرجانه** إلى إطلاق سراح بعضهم وأبقى على البعض الآخر، بل إن الرواية المحلية تذهب إلى أن بعضا من المشتبه بهم قد لاقوا حتفهم في سجن المعسكر[149]، رغم أن **فريرجانه** يدعي عكس ذلك ويزعم أنه لم يبق على أي من المعتقلين، حتى قبل استجلاب المجاهد **أحمد ولد اعميره ولد اباه**[150].

لم يتردد المجاهد عند استجوابه لحظة في الاعتراف بمشاركته في الهجوم، بل إنه أكد قدومه من أجل قتل الفرنسيين وأعوانهم[151]**...!!.**

بعد مشاورات، تقرر تقديمه إلى محاكمة عسكرية...

حاول **فريرجانه،** هذا الجندي الذي لا يفقه كثيرا في الأمور القانونية تكييف الواقعة، من خلال توجيه تهمة **"القتل والتآمر من أجل القتل والهجوم المسلح على وحدة فرنسية... وحمل السلاح ضد أمة، يعترف المتهم بأن "بلاده" ليست في حالة حرب معها"**[152]**...!!**

كان **فريرجانه، "رئيس المحكمة"** قد أقام هذه الدعوى على أساس الرغبة الفرنسية في تقسيم موريتانيا، والتي ظهرت مغلفة في العديد من المراسلات الإدارية، حيث تكرر ذكر **"بلاد تگانت pays de Tagant " و "بلاد آدرار pays d Adrar"**[153]**...**

كانت هذه الرغبة ترجمة صادقة للشعار الاستعماري سيئ الصيت**"فرق تسد".** لكن الوقائع على الأرض، تشير إلى أن هذا الشعار كان فقط من أجل الاستفراد بالأقاليم الموريتانية الواحد بعد الآخر، تنفيذا لخطة **كوبولاني** الهادفة إلى اجتياح موريتانيا و الربط بين المستعمرات الفرنسية. لقد كان **كوبولاني** يردد، دقائق قبل أن يلقى حتفه على يد المقاومة الوطنية **:"كم هو مزعج عدم استمرارنا في الزحف على آدرار."**[154].

---

[148]- نفسه- ص 303

[149]- الراوية سيدي ولد محمد الأمين ولد سيدي عبد الله، مقابلة سابقة مع المعني.

[150]- نفسه - ص 292

[151]- نفسه - ص 304

[152]- نفسه - ص 304

[153]- نفسه - ص 301

[154]- الطالب اخيار ولد الشيخ ماميناـ الشيخ ماء العينين، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي- مرجع سابق- ص 221

كانت النية الفرنسية للزحف على هذا الإقليم قائمة بالفعل، ويكفي للتدليل على ذلك أن البعثة الفرنسية في تجگجه حملت إسم **"بعثة تگانت-آدرار"**.

ويؤكد **جيلييه** هذه الحقيقة التي يجهر بها الفرنسيون باستثناء **"رئيس المحكمة"**، حيث يقول:**"لم يبق له[يقصد كوبولاني] لإكمال مهمته إلا إتمام دخول آدرار، المرحلة الأخيرة من هذا البرنامج الكبير الذي حدده لنفسه، والذي تم تنفيذه نقطة نقطة حسب التوقعات. وكان سيُتمه لولا أنه سقط تحت ضربات متعصب."**[155] وما يزال سكان آدرار، حتى ذلك العهد يحتفظون بذكريات عن بعثة **بلانشى**[156] **Blanchet** التي وصلت إلى أطار سنة 1900، وسقط أفرادها بين قتيل وجريح وأسير وهارب. وقبل هذه البعثة كانت محاولة الرحالة الفرنسي **فابير Faber** سنة 1891، الذي سعى دون جدوى إلى الحصول على تحالف بين فرنسا وآدرار[157].

لقد نسفت هذه الحقائق والوقائع الأساس القانوني للدعوى الجنائية، المرفوعة ضد المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه، فحالة الحرب كانت قائمة منذ سنوات، وقرار احتلال آدرار قد اتخذ بالفعل، وكان المجاهد أسير حرب ومقاتلا شرعيا..

---

[155]- الرائد جيلييه - التوغل في موريتانيا - اكتشافات..استكشافات.. غزو - مرجع سابق - ص 156

[156]- كان برفقة بلانشى وهو آركيلوجي، الجيولوجي درينيس Dereinus وفرقة حراسة تضم الثلاثين من الرماة، انظر محمدو ولد محمدن، وثائق من التاريخ الموريتاني(نصوص فرنسية غير منشورة) منشورات جامعة نواكشوط 2000، ص 169 وما بعدها.

[157] -COMMANDANT Louis FRERE JEAN- op cit -P 309

فيك الخصام... وأنت الخصم والحكم

تشكلت هيأة **المحكمة العسكرية** على عجل، فقد أوصى الطبيب بضرورة الإسراع في إجراءات المحاكمة حتى لا يستفحل الجرح ويودي **"بحياة المتهم قبل أن يعطي ما لديه من معلومات استخبارية"**.

كانت هذه الهيأة على النحو التالي:

- **نقيب فريرجانه رئيسا**
- **نقيب جرار عضوا**
- **الإداري آرنو عضوا**
- **ملازم أول دولافوكيونه عضوا**
- **ملازم أول شيري كاتب ضبط**
- **ابن المقداد مترجما** [158]

اجتمع "القضاة" في مقر الإقامة، **وعقدت الهيأة جلستها الأولى والأخيرة. كانت الساعة تمام الرابعة بعد الظهر، مساء السابع عشر من شهر مايو عام 1905**، أي بعد أربع ساعات فقط من وصول المجاهد الأسير إلى تجگجه. لم يكلف "رئيس المحكمة" نفسه عناء تكليف أحد الأعضاء، الذين يأتمرون بإمرته، بالدفاع عن المتهم الماثل أمامه، حتى وإن كان الأمر شكليا في مثل هذا الموقف الذي يصدق عليه قول المتنبي **:"فيك الخصام وأنت الخصم والحكم"...!!**
لم يكن الدفاع ممثلا على الإطلاق، بل وأكثر من ذلك فقد اختزل "رئيس المحكمة" النيابة والقضاء في شخصه.

وجهت التهمة إلى المجاهد الجريح، الذي **لم يتلق أي نوع من أنواع العلاج...** كان محشورا ومنزويا هناك، في ركن من أركان القاعة... **"بدا غير مهتم بمعاناته، وكان يجيب بطريقة طبيعية ودقيقة على الأسئلة التي يوجهها إليه المترجم..."**[159].

---

[158]- **نفسه- ص 304**
[159]- **نفسه- ص 304**

كان ملخص ما قاله المجاهد **أحمد ولد اعميره ولد اباه** أمام "قضاته" الأعداء، نقلا عن **فريرجانه** هو التالي :

"مؤخرا(.....) أعلن شريف ملهم يسمى سيدي ولد مولاي الزين أن الله قد أمره في المنام[160] بقتل كوبولاني، ولكنه هو[أي الشريف] سوف يموت في نفس اليوم. كان من عادة هذا الشريف كل سنة أن يجمع حوله مجموعة مسلحة من أهل آدرار لمرافقته في رحلات الزيارة التي يقوم بها عادة في منطقة الحوض، وقد اتجه هذه السنة إلى أهل التناكي...

اعتقد أهل التناكي أولا أنهم بصدد مرافقته في رحلته السنوية، وفي الطريق، التقت المجموعة برجل (.....) هارب من قلعة تجگجه مؤخرا، تحدث الرجل الذي أطلق سراحه بأمر من كوبولاني إلى سيدي، وذهب في محادثة انفرادية طويلة معه، لقد قدم هذا الرجل المسمى سيدي ولد بوبيط كل المعلومات الضرورية من أجل الهجوم على القلعة، لكنه رفض القيام بدور المرشد، حيث كان معروفا من طرف جنود المعسكر.

كان لدى الشريف 28 رجلا ترك منهم ستة في گلمسي التي تبعد 30 كلم شمالي تجگجه من أجل حراسة الجمال التي قدمت عليها المجموعة من الزرگه جنوب شرق شنقيط، وقد انضم إليهم اثنان آخران...

لم تبلغ إدوعلي، الذين يعرفون الشريف جيدا عن وجوده، عندما مر بهم... عندما وصلت المجموعة إلى بطحاء تجگجه، كشف الشريف أخيرا عن هدفه الحقيقي أمام رجاله العشرين، وهو قتل كوبولاني، مهما كلف ذلك...

طلب سيدي من ربه أن يجعل على أعين المسيحيين غشاوة حتى لا يروا المهاجمين، وعندما يصيح الشريف "الله أكبر" على الجميع أن يهجم بعنف في اتجاه الأمام، وقتل كل من يعترض طريق المهاجمين، وخاصة كوبولاني الذي يجب أن يموت- حسب حلم الشريف- هذا المساء قبل الرجوع إلى الجنوب...

وبعد أن هيأهم للموت، أمر سيدي أصحابه بالمسير إلى العدو دون أن يمنحهم فرصة التفكير أو التوقف أو التقاط الأنفاس لحظة واحدة. وصل المهاجمون إلى القلعة دون أن يتم اكتشاف أمرهم، بعدها أطلق الحارس النار دون أن يصيب أحدا. حينها صاح الشريف قائلا:"الله اكبر"، واندفع الجميع عبر المدخل. كان أول شخص يتلقونه هو أوربي يلبس لباسا أبيضا، طويل وضخم جدا.

أطلقوا النار فوقه ثم تبعوه للقضاء عليه، لم يكونوا يعلمون أنه كوبولاني، حتى أحمد ولد اباه نفسه لم يعلم بذلك إلا في الرشيد. اندفع الشريف إلى الأمام بحثا عن أوربي آخر لقتله، لكنه هذه المرة أخطأ ضربته بالسيف، حيث قتله الأوروبي الذي استهدفه بطلقة مسدس.

انتشر المهاجمون في القلعة، في بحث عن أوربيين آخرين لقتلهم، في هذه الأثناء أصيب أحمد ولد اباه بالطلقة القاتلة. انسحب أحمد مع المهاجمين الناجين، ثم اتجه إلى الرشيد..."[161].

---

[160]- لم ترد هذه الرواية في أي مصدر آخر، مكتوب أو شفهي. وقد يكون السبب في تحريف قصة الرؤيا الحقيقية عائد إلى سوء الترجمة أو الرغبة في مغالطة القارئ.

[161]- نفسه- ص 306

بعد مداولات قصيرة، صدرت الإدانة على وجه السرعة... وكانت بإجماع أعضاء هيأة المحكمة. لقد تمت"**إدانة أحمد ولد ولد اعميره ولد اباه بالقتل والتآمر من أجل الاغتيال السياسي الجماعي المنظم من طرف قائد روحي، اغتيال قام به أفراد مسلحون، ينتمون لبلد [آدرار] ليس في حالة حرب معنا، وفي عملية قرصنة تحرمهم من حقوق الأشخاص...**"[162].

هكذا قرر الغزاة المعتدون، في عتمة تلك القاعة تجريد المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه وعموم المجاهدين من حقوق الأشخاص، ليصدروا حكمهم الذي يجسد رغبتهم في الانتقام..!!
لقد سعوا واهمين، من خلال هذه المحاكمة الصورية إلى سلب حق كفلته كل الشرائع والقوانين على مر التاريخ، إنه حق الدفاع المقدس عن الأهل والعرض والوطن...!!

---

[162]- **نفسه- ص 306**

انتقام رخيص...

صدر منطوق الحكم في الحال، بعد الإدانة... إنه**"الإعدام شنقا"**[163]. وفورا بدأت إجراءات التنفيذ... **نصبوا مشنقتهم بين القلعة والمدينة،** كانت عبارة عن عارضة خشبية مثبتة بين جذعين من النخيل، ثُبِّت عليها الحبل بعد أن فُصِّلت عقدته...

سِيق سكان تجگجه قسرا لحضور تنفيذ حكم الإعدام، **كان الوقت غروبا في حدود الساعة السادسة والنصف مساء... بدأ الظلام يزحف، ليضيف مسحة من القتامة والضبابية على هذا المشهد الحزين... جلبوا المجاهد الشهيد إلى منصة الإعدام، وكانت عقدة حبل المشنقة تتأرجح فوق رأسه، لكنه كان في حالة هدوء وسكينة، أثارت حفيظة شانقيه وحرمتهم لذة التشفي**... بادره المترجم **ولد ابن المقداد** قائلا:

- **استعد... سوف تموت**

كان **المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه** قد أنهى استعداداته منذ اللحظة التي قرر فيها الانضمام إلى قافلة الجهاد، وسعى راضيا في طلب الشهادة... أجاب بدم بارد:

- **"الله أكبر"**

وهكذا صدر الأمر، بإشارة صوتية من البواق وشرعت مفرزة الإعدام المشكلة من خدم كوبولاني في التنفيذ... ثبتوا العقدة في رقبة الشهيد، ورفعوه "في صمت مهيب" ستة أقدام إلى الأعلى[164] **وتركوه... بعد لحظات، فعلت الأيدي الآثمة فعلتها... فاضت روح الشهيد لتلتحق بركب الشهداء والصديقين ويسطر اسمه بأحرف من ذهب في صفحة مشرقة من تاريخ وطنه، هي صفحة المقاومة والتضحية والفداء...**

في الصفحات الثلاث التالية، صورة طبق الأصل من نص الحكم الصادر في حق المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه، المكتوب بخط يمين النقيب لويس فريرجانه القائد المؤقت لبعثة تگانت- آدرار[165]

---

[163]- نفسه- ص 306

[164]- نفسه- ص 307

[165]- **من أرشيف المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء- موريتانيا.**

Mission Cagant-Adrar

Jugement prononcé par la cour martiale réunie en vertu de l'ordre du Capitaine comt. provisoirement la mission, en date du 17 Mai 1905.

FAN MAURITANIE
ARCHIVES

L'an mil neuf cent cinq et le dix sept Mai, à quatre heures du soir, en exécution de l'ordre de la Mission, en date dudit jour une cour martiale composée de :

MM.rs Pierrejean capitaine d'Infrie Colne HC Président
Gérard " du Génie HC Membres
Arnaud adm.teur adjoint de commun.t HC "
de Varangeon Lieutenant de cavalerie HC "
Chimy Lieutenant au 1er Regt de Tirailleurs Sénégalais "

auxquels ont été adjoints :

MM.rs Jouvel Adjudant au 1er Regt de Tirailleurs Sénégalais Greffier
Bou el Mogdad Interprète Principal

s'est réunie à Fidjikdja au campement de la Mission Cagant Adrar commandée à titre provisoire par le Capitaine Pierrejean à l'effet de juger le nommé Ahmed Ould Bah ould Ahmoucra des Ahel Jamaki inculpé de meurtre complicité d'assassinat et d'attaque à main armée contre un détachement Français.

La cour après avoir écouté l'inculpé dans ses moyens de défense a décidé que le nommé Ahmed ould Bah ould Ahmoucra des Ahel Jamaki qui a été reconnu coupable à l'unanimité de meurtre et d'attaque à main armée contre un détachement Français

est condamné à la peine de Mort

Conformément aux rites musulmans en usage pour les malfaiteurs le coupable sera pendu.

Sentence enintée le 17 à 6h30 du soir

Ledjikaja le 17 Mai 1905

on tirait encore. Je me suis couché dans un fossé que j'ai rencontré.

- H Combien d'assaillants se sont battus avec vous ?

- R Je ne sais pas plusieurs sont sortis au couloir pour s'enfuir en même temps que moi mais tous les vingt sont venus jusqu'à la porte.

- H. Combien sont-ils rentrés ?

- R. Le Chérif, son fils et quelques jeunes gens.

- H. Quelles ont été les dernières instructions du Chérif.

- R. Il nous a recommandé de ne rien dire nous prévenant qu'il marcherait en tête avec son fils et qu'il faudrait entrer quand il crierait Allah Akbar. Il nous a promis de plus que pas un œil ne nous verrait avant que nous soyons à la porte.

- H. Quel itinéraire avez vous suivi de la palmeraie à la porte.

R. Je puis vous le montrer.

La cour décide de se faire indiquer par l'inculpé le trajet suivi par la bande.

L'inculpé n'ayant plus rien à dire pour sa défense, l'interrogatoire a été clos et les membres de la cour ont ~~fait~~ signé avec le greffier et l'interprète.

MAURITANIE ARCHIVES

الترجمة الكاملة لنص حكم الإعدام الصادر في حق المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه

مهمة تگانت – آدرار

الحكم الصادر عن المحكمة العسكرية المنعقدة تحت إمرة النقيب، القائد المؤقت للبعثة، بتاريخ 17 مايو 1905

في مساء السابع عشر من مايو سنة 1905 وعلى تمام الساعة الرابعة، وتنفيذا لأوامر البعثة، انعقدت في نفس اليوم محكمة عسكرية، مشكلة من السادة:

- **فريرجانه، نقيب من المشاة الاستعمارية، خارج الإطار رئيسا**
- **جرار، نقيب من الهندسة، خارج الإطار عضوا**
- **آرنو، إداري مساعد لمجموعة حضرية مختلطة، خارج الإطار عضوا**
- **دولافوكيونه، ملازم أول من الخيالة، خارج الإطار عضوا**
- **شيري، ملازم أول من الفيلق الأول من الرماة السنغاليين عضوا**

ونواب الأعضاء، هم السادة:

- **جوزيفل، مساعد من الفوج الأول من الرماة السنغاليين كاتب**
- **ابن المقداد مترجما رئيسيا**

اجتمعت في تجگجه في مقر بعثة تگانت – آدرار التي يقودها بصفة مؤقتة النقيب فريرجانه من أجل محاكمة المسمى أحمد ولد اباه ولد اعميره، من أهل التناكي المتهم بالاغتيال والتآمر من أجل القتل، والهجوم المسلح ضد تشكيلة فرنسية.

بعد الاستماع إلى دفاع المتهم المسمى أحمد ولد اباه ولد اعميره من أهل التناكي الذي **ثبتت إدانته بالقتل والهجوم المسلح ضد تشكيلة فرنسية.**
قررت المحكمة بالإجماع الحكم على المدان بالإعدام

وطبقا للطقوس الإسلامية المعمول بها، سيتم إعدام الجاني شنقا.

تم تنفيذ الحكم يوم 17 عند الساعة السادسة والنصف

تجگجه يوم 17 مايو 1905

(الصفحة الأخيرة من محضر استجواب المجاهد أحمد ولد اعميره ولد اباه، وقد تعذر الحصول على بقية محضر الاستجواب)

كان هناك إطلاق نار متواصل، قمت بالاختباء في خندق صادفته على طريقي.

س- كم نجا من المهاجمين معك؟

ج- لا أعلم، لقد فر الكثيرون معي وفي نفس الوقت عبر الممر، ولكن المهاجمين العشرين كانوا قد وصلوا إلى الباب.

س- كم عدد من دخل؟

ج- الشريف وابنه و بعض الأشخاص

س- ما هي آخر تعليمات الشريف؟
ج- أوصانا بعدم الكلام، وأخبرنا بأنه سوف يسير في المقدمة مع ابنه، وأنه علينا الدخول فقط عندما يصيح "الله أكبر". لقد وعدنا أن أيا كان لن يرانا قبل وصولنا إلى الباب.

س- أي مسار سلكتموه من الواحة وحتى الباب؟

ج- يمكنني أن أدلكم عليه

قررت المحكمة بمساعدة المتهم تحديد مسار العصابة

لم يعد لدى المتهم ما يضيفه للدفاع عن نفسه، وانتهى استجوابه، وقام أعضاء هيأة المحكمة بالتوقيع مع الكاتب والمترجم.

Mission Tagant-Adrar

_____

Jugement prononcée par la cour martiale réunie en vertu de l'ordre du Capitaine commandent-provisoirement la mission, en date du 17 Mai 1905.

_____

L'an mil neuf cent cinq et le dix sept Mai, a quatre heures du soir, en exécution de l'ordre de la Mission, en date du dit jour une cour martiale composée de :

MM :- Frerejean capitaine d'Infanterie coloniale HC Président
-Gérard capitaine du génie HC Membre
- Arnauld administrateur-adjoint de commine mixte HC Membre
- de Lavauguion Lieutenant de cavalerie HC Membre
- Cherry lieutenant au premier régiment de tirailleurs sénégalais

Auxquels ont été adjoint :

MM :-Jouxfel adjudant au premier régiment de tirailleur sénégalais-greffier
- Bou el Mogdad Interprète Principal

S'est réunie a Tidjikdja au campement de la mission Tagant Adrar commandée a titre provisoire par le capitaine Frerejean a l effet de juger le nommé Ahmed Ould Bah ould ameira des Ahel tanakie inculpé de meurtre complicité d assassinat et d attaque a main armée contre un détachement français .
La cour après avoir écouté l'inculpe dans ses moyens de défense décidé que le nommé Ahmed Ould Bah ould ameira des Ahel tanakie qui a été reconnu coupable a l'unanimité de meurtre et d attaque a main armée contre un détachement français.
Est condamné a la penne de mort
Conformément aux rites musulmans en usage pour les malfaiteurs le coupable sera pendu.

Sentence exécutée le 17 a 6h 30 du soir
Tidjikdja le 17 mai 1905

Ont tirait encor, je me suis couché dans un fossé que j'ai rencontré.

Q- Combien d'assaillants se sont sauvés avec vous ?

R - je ne sais pas, plusieurs son sortie du couloire pour s'enfuir en même temps que moi mais tous les vingt sont venus jusqu'a la porte.

Q- combien sot ils rentrés ?

R- le chérif, son fils et quelque jeune gens.

Q- quelles ont été les dernières instructions du chérif ?

R- il nous a recommandé de ne rien dire, nous prévenant qu'il marchait en tête avec sont fils et qu'il faudrait entrer quand il criera Allah Akbar. Il nous a promis de plus que pas un ail ne nous verrait avant que nous soyons a la port.

Q- quel itinéraire avez-vous suivi de la palmeraie a la porte.

R- je puis vous le montrer.

La cour décide de le faire indiquer par l'inculpé le trajet suivi par la bande.
L'inculpe n'ayant plus rien a dire pour sa défense son interrogatoire a été clos et les membres de la cour ont signé avec le greffier et l'interprète.

... وفي اليوم الموالي، الثامن عشر من مايو توج **فريرجانه** انتقامه بعمل همجي، يندى له الجبين وتقشعر منه الأبدان، ويسيئ إلى مشاعر كل المسلمين... فقد أقدم على **إحراق جثث الموتى الذين سقطوا خلال يومي 12 و13 مايو، بالإضافة إلى جثة الشهيد أحمد ولد اعميره ولد اباه**[166]، بعد جمعها في قبر جماعي...!!

لكن الرواية المحلية تتحدث عن ظروف و أحداث خارقة، صاحبت دفن الشهداء أو عملية التخلص الوحشية منهم، خصوصا فيما يتعلق **بجثة المجاهد سيدي ولد مولاي الزين**[167].

الراوية محمد ولد العربي، أحد أحفاد المجاهد سيدي ولد مولاي الزين

فقد أشار الراوية **محمد ولد العربي**[168] في هذا الخصوص إلى أن قائد الحامية النقيب **فريرجانه** أمر بوضع جثة المجاهد الشهيد **سيدي ولد مولاي الزين** في عرض البطحاء، وجلب الكثير من الحطب لإحراقها... لكن محاولة إشعال النار في الجثة كانت تفشل في كل مرة، إلى أن هبت فجأة عاصفة رملية قوية، مصحوبة بأمطار وغبار كثيف، مما أرغم الجنود على انتظار انقشاع الغبار وتوقف الأمطار، وقد أسفرت هذه الأمطار عن سيل قوي، تدفق عبر البطحاء لتحمل أمواجه الجثة إلى مكان مجهول... بعد هدوء العاصفة، عاد الجنود لاستئناف عملهم، **ليكتشفوا أن الجثة قد اختفت ولم يعد لها أي أثر...!!**

---

[166]- نفسه- ص 308

[167]- يؤكد الراوية سيدي ولد محمد الأمين ولد محمد أحيد ولد سيدي عبد الله أن جثة الشهيد سيدي ولد مولاي الزين كانت قد دفنت بالفعل، لكنه لا يعلم في أي مكان يقع القبر، مقابلة سابقة مع المعني.

[168]- مقابلة سابقة مع المعني

ويورد الراوية **محمد ولد العربي** رواية أخرى متداولة لدى ساكنة المدينة حول ظروف دفن الجثة، حيث يؤكد أنه نقل عن بعض الرواة قولهم إن مجموعة من سكان القرية، مشكلة من نساء ورجال تسللت ليلا إلى داخل القلعة، وتمكنت في غفلة من الحراس من حمل الجثة ونقلها خارج القلعة ودفنها، بل إن **محمد ولد العربي** يذهب إلى أن بعض هؤلاء الرواة قد حدد مكان القبر، حيث يعتقد أنه في مكان قريب من القلعة في الطرف الآخر من البطحاء في الجهة الشمالية الشرقية.

ويذهب البعض الآخر إلى أن المجاهد **سيدي ولد مولاي الزين** قد دفن في أحد المنازل، في محاولة لإخفاء جثته عن عيون الفرنسيين المنتشرة في القرية.

...على طريق العودة

نعود لنتتبع آثار المجاهدين بعد انسحابهم وفضهم للاشتباك مع الفرنسيين، حيث سلكوا طرقا مختلفة، لم تكن من بينها الطريق التي سلكوها أثناء الهجوم[169]، أخذا باحتياطات الأمان...

كانت **هضبة كلمسي** هي وجهتم الأولى، حيث ترابط العناصر التي تولت مهمة حراسة الجمال والمؤن. كانت هذه العناصر قد جهزت المراكب وشدت عليها الرحال منذ الغروب[170]، حتى يتمكنوا من إجلاء الناجين من المجاهدين في أسرع وقت ممكن...

عمد المجاهدون، بعيد انسحابهم إلى نزع عقال ثمانين جملا قرب القلعة، كانت مخصصة لنقل المؤن والإمدادات لصالح الحامية الاستعمارية، فغنموها وساقوها في اتجاه **كلمسي...**

وصلوا إلى نقطة التجمع فجرا، وتريثوا قليلا، على أمل أن تلتحق بهم البقية... كان **الّلّ ولد سيدي ولد مولاي الزين** آخر من يغادر الهضبة، وكان يترقب من حين إلى آخر قدوم أحد المجاهدين في كل لحظة، وبعد أن يئس من قدوم أحد منهم غادر في أعقاب المنسحبين... لم يكن الّلّ يعلم أن **السالك ولد الدَّدْ ولد البطاح** كان على بعد خطوات قليلة منه، وأنه كان يصيح عليه بأعلى صوته...!!

كان هذا المجاهد قد أصيب بجروح بالغة أثناء الرمايات المسحية الأخيرة التي نفذها الفرنسيون بالرشاشات، ورغم هذه الجروح فقد واصل مسيره إلى نقطة التجمع، لكن الإجهاد والعطش كانا قد بلغا منه مبلغا، بحيث لم يعد قادرا على إسماع صوته... كان ينادي على المجاهدين ويلوح بيديه دون جدوى...

وبعد أن خانه صوته، استسلم لقدره وهو يرى المجاهدين يغادرون في اتجاه آدرار، لكن ذلك لم يثنه عن اللحاق برفاقه، فقد كان **يسير ليلا ويختبئ نهارا، حتى وصل امحيرث بعد أسبوعين... !!**

تمكن المجاهدون من التجمع ثانية في **امحيرث**، حيث انطلقوا لأول مرة... كان الجرحى قد تمكنوا من الالتحاق بالمجموعة في ظروف بالغة الصعوبة ومليئة بالمعاناة الجسدية...

اجتمعوا ثانية، ولكن هذه المرة ليحتفلوا... ليتمتعوا بنشوة الانتصار، ليعلنوا لمن أنكروا عليهم قدرتهم على تحقيق النصر، أنهم كانوا واهمين، وأن قوة الإيمان وحب الشهادة هي أقوى من أي قوة أخرى...

لقد خسروا ملهمهم وقائدهم، لكنهم بالمقابل **قضوا على رأس الحربة الاستعمارية، لقد قتلوا كوبولاني...**

---

[169]- المجاهد محمد ولد الصفره

[170]- الراوية محمد ولد سيداحمد ولد اجيه- مقابلة سابقة

بعد حوالي أسبوعين من تاريخ العملية، أقام المجاهدون في قرية امحيرث مأدبة كبرى، حضرها الكثيرون، وكان من بينهم الشاعر **سلاك ولد ادهاه** الذي أنشد قطعة شعرية(كرزه) تخلد هذه العملية البطولية.
أنشد سلاك ولد ادهاه قائلا:

گبيظْ لخبار فالحگْ يندارْ مْعنْها كاع ابكات فالدار
بسم المقدم الرّب صوّار لخلوق مكملَ بْلا ثْحزوير
ابديت واندور انجّود أخبار الشّرفه أكومهم افذ اتبعثير
أولا ودّيت من حقهم اغيار ألا يودّيه حد ثاني غير
يعرف ودان ووجفت وطار والكط ظاك انتكمكمت والبير
واهل الرشيد من صحت اخبار فالحك انذا اخيار آمجاييير
اكلهم ظلم واكلهم عار واخيارهم شرواخيارهم خير
ج وارد اقليم كفار افدار امشبر أطاركدام انذير
كل شي يقل كون التعمار والعده الماظيه واسحاحير
أج ما حارفدخول واخبار لختيل محال كيم اتبربير
واحمالهم فم بالباس والنار حمايت الله و الرب قدير
أوجات حمجيت اخيار نزار شفيع لحرار فانهار لكبير
أرسول كلام خشاش لحجار أخيار عدنان فول التمغفير
بيه اتحصنت من حر النار لا ريت منه الي يظر لحرير
واعليه صليت بكد لحجار اصدر والخلق لكبير واسقير
واندخلت الدار بامر القهار ومنبن اندخلت حس تكبير
اشريف لكبير وفات لخبار أولا تل فم كون اتغاوبر
وكدات النار فالجو لحوار اجمر وارصاص كيف عارظ اشرير
وابكات الدار كيف ظو انهار وابكات تجگجه الا آقنادير
من ظو تكرار قيموس لشفار أطول دوام كدي آمادير
وانكرظ مصماركلابت العار واخلات انصاره أمر اندرير
ما فكهم البني ألا اتشبار وابك الوروار أدن من إيذخير
هذا حك ل الناس حظار ماه من الكذب ألا اتنوجير
والناصر الله والغاير إغير

وخلدت أم المومنين بنت هنون هذه الملحمة في قصيدة أخرى، حيث تقول:

ذاك الرجلي حدو عشرين فتيلا ول سمع زيـــــن
ولِّ فاتنْ فتنتْ حنيـــــنْ وأعزمْ عن عزم مـا ولَّ
وأكتلْ كبولاني فالحـين أخوه أول أخت بالعجل
كشيتهم يالعاين فيهـــم أ شبه عدي تعلك فيـــم

يالكارهم والباغيهـــــم وأسمع من هذا المثـــل
ماحل حزمتهم بيـــــهم من ترك الحـــــــزم ذل
رجلين فيه استعـــــــار يقل عندي غيد الحـــــل
دل دلو فالنصـــــــــار وأل كبظ فمـــــنين أدل
الكوم ألي فعلت لملاس الزعم لبطال الريـــــاس
ول الحكن فبليد البـاس وانعكد فكتاف الـــــــل
بات إبلحهم بالقرطاس شرب البلوح اعل عـجل
ارحم سيد وأحمد وأحمد والكوري عندك يلعـــــل
يارب ترحم دك الـــــعد لل هو من لعـــــــــل

مقتل كوبولاني
التداعيات... والدلالات

شكلت عملية تجگجه الرد المناسب والمبكر على سياسة **"التوغل السلمي"**، والضربة الاستباقية التي زلزلت المشروع الاستعماري الفرنسي في موريتانيا. فقد لخص **الرائد جيلييه** التبعات السياسية والعسكرية لموت منظر الحملة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا قائلا **:"انتشر نبأ مقتل كوبولاني بسرعة كبيرة في كافة أرجاء موريتانيا، حيث نجمت عنه، وعلى الفور نتائج خطيرة... فقد استعادت كل القبائل التي سبق وأن قبلت الدخول في مفاوضات من أجل إعلان خضوعها حريتها في التصرف. وكان كوبولاني قد تمكن من إقناع هذه القبائل بقبول الحماية الفرنسية بسبب حنكته ومهارته السياسية. كما أعلنت قبائل وفصائل أخرى تمردها، بعد أن كانت خاضعة... أما أمير آدرار وكذلك مرابط السماره الشيخ ماء العينين الذي حرض على قتل كوبولاني فإنهما يعتبران هذا الحدث بمثابة نجاح كبير. لقد أصبحت ثقتهم وتصميمهم على مقاومتنا أكثر حيوية، كما أنهم أضحوا أكثر استعدادا لدعم مناهضينا."**.[171]

كان مقتل **كوبولاني** فعلا جريئا وغير مسبوق في سجل المقاومة الوطنية، لكن الأهم من كل ذلك هو أنه كان بمثابة إعلان مدوٍ، عن بداية النضال المسلح الفعلي والمنظم ضد التوغل الاستعماري، حيث ما لبثت صفوف المقاومين أن تعززت واتسعت الجبهة المناوئة للفرنسيين عقب هذه العملية، ولم يعد هناك صوت يعلو على صوت المقاومة...

كان مرد هذا الزخم الذي حظيت به الدعوة إلى الجهاد هو القناعة التي تعززت حول إمكانية صد الفرنسيين، بل وإلحاق الهزيمة بهم، وهو ما تجسد لاحقا في الهجمات المتكررة على قلعة تجگجه[172]، والتي توجت بحصار تجگجه الذي نفذه ألف من المجاهدين، وقاده أمير آدرار المجاهد **سيد احمد ولد احمد ولد عيده**، ولم يتمكن الفرنسيون من فك هذا الحصار إلا بعد تدخل قافلة الإمداد القادمة من سينلوي يوم 24 يونيو 1905، بقيادة المقدم **مونتانى كاب دبوس** **Lieutenant-Cololonel Montane Cap DEBOSSE** الذي عينته الإدارة الاستعمارية خلفا **لكوبولاني**[173].

لكن التأثيرات الدراماتيكية لهذه العملية على المشروع الاستعماري الفرنسي الذي أصبح مهزوزا، تجاوزت إقليم تگانت والأراضي الموريتانية، لتلقي بظلالها على **مقر الحكومة الاستعمارية الفرنسية في سينلوي**، حيث ظهرت مجددا[174] الدعوات إلى إعادة النظر في سياسة التوغل المسلح والعودة إلى سياسة المراكز التجارية على ضفة النهر، **"فبعد موت كوبولاني أصدر المجلس العام للسنغال تعازيه وعبر عن أسفه للخسارة**

---

[171]- رائد جيلييه - التوغل في موريتانيا - اكتشافات..استكشافات.. غزو - مرجع سابق - ص 159

[172]- في 3 يونيو 1905 وقع هجوم جنوب تجگجه، وفي 10 يونيو هوجمت النيملان بتگانت، وتعرضت تجگجه مرة أخرى لهجمات متتالية يومي 17 و18 يونيو- محمد سعيد ولد همدي - مرجع سابق- ص 150

[173]- نفسه - ص 155

[174]- واجه مفوض الجمهورية الفرنسية في موريتانيا مواجهة حاقدة من قبل الموظفين الفرنسيين، وخاصة التجار في سينلوي الذين رأوا في مهمته مساسا بمصالحهم- نفسه- ص 149

الفادحة المترتبة على فقدانه. إلا أن المداخلات في المجلس كانت مبهمة إلى حد ما، فقد صرح أحد المتدخلين:"أن كوبولاني لم يقتل، فقد سقط في ساحة المعركة إثر الحملات العسكرية المسلحة التي كان يسيرها ضد الموريتانيين منذ عدة سنين. لقد كان راندو، صديق كوبولاني وكاتب سيرته مستاء من تصريحات لمتدخل آخر، طالب فيها بإلحاح بالرجوع إلى سياسة المراكز التجارية لصالح التجار في سينلوي، وإعادة السلم مع الترارزه والبراكنه، ووقف السياسة المضرة، المعارضة للمصالح التجارية والتي لا تفضي إلى شيء، والتخلي عن سياسة الاحتلال السلمي التي ليست في الحقيقة سوى غزو مسلح لصحاري خالية."[175].

رحل **كوبولاني**، لتنتهي مع موته سياسة **"التوغل السلمي"** أو **"السلم الاستعماري"** التي نظر لها وحاول تسويقها دون جدوى... سقط القناع الذي طالما تدثرت به السياسة الاستعمارية، لتبدأ مرحلة أخرى، يطبعها العمل المسلح والغزو العسكري المباشر للأقاليم الموريتانية. وقد أرغمت المقاومة الوطنية الفرنسيين على خوض المعارك اللاحقة بتشكيلات ووحدات كبيرة مجهزة، نظرا للخسائر المعتبرة التي تكبدوها في المواجهات السابقة، والتي خاضوها بوحدات أقل عددا وعدة.[176]

كان قرار شن عملية تجگجه، الذي اتخذه المجاهد الشهيد سيدي ولد مولاي الزين رفاقه في مكان ما من إقليم آدرار ضد الوجود الاستعماري في إقليم تگانت البعيد، أول عمل وطني، يرسخ وحدة الأقاليم الموريتانية... إنه وعي مبكر، تعززه قناعة دينية راسخة، وأول لبنة معنوية وضعت في المكان الصحيح، ومهدت لبناء وطن، ولم شمل أمة... لقد تعزز الشعور العام المعادي والرافض للوجود الاستعماري، وتشكلت لحمة الأمة، واتفقت الإرادة العامة على تأييد نهج المقاومة، وهكذا ولدت الرغبة في الانعتاق والتحرر، لتتجسد هذه الرغبة أخيرا في حصول البلاد على الاستقلال التام في الثامن والعشرين من نوفمبر سنة 1960...

---

[175]- نفسه، ص ص 149- 150

[176]- رائد جيلييه - التوغل في موريتانيا - اكتشافات..استكشافات.. غزو - مرجع سابق - ص 140